

الأميرة تاج اللوز وولديها

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

قصص حكايات

الفوارس

١٣

جمال شاهين

١٩٩٨

الأميرة

تاج اللوز

وولديها

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤



قصص وحكايات الفوارس

جمال شاهين

الأميرة تاج اللوز وولديها

جمال شاهين



الأميرة تاج اللوز

الأمير الكبير معن لقد أصبح اليوم ملكا على البلاد والعباد ، وذلك على أثر وفاة والده الملك الشهير شيبان النابغي ، فلقد كان الأمير معن يخشى أن ينافسه أخواه ربيع و زيدان على عرش المملكة، والذي كان يؤرقه ويزعجه أكثر من ذلك أن يبايع الناس أخته تاج اللوز ملكة على البلاد ؛ لمحبة والدها الملك لها ، ولكثرة حديثه عنها ، لذلك لما تسلم الكرسي وبايعه الخلق من الأمراء والوزراء تنفس الصعداء، وفرح بالتاج عندما وضع على رأسه أشد الفرح ؛ بل كان أسعد البشر لتسلطنه على خلق الله ، فلما عاد إلى بيته الخاص في الليل وجد زوجته والأميرات ينتظرنه لتهنئته بالملك ، ولما انصرفن ولم يبق في الديوان إلا هو وزوجته الأميرة عبلاء فقال بقلق : لم أر أختي تاج اللوز معكن ؟!

فنظرت إليه زوجته بضيق وقالت : من أنت لتأتي إليك تاج اللوز؟!

فقال بغضب خفيف : أنا الملك .. أنا سيدها ومولاها الملك معن بن شيبان!

قالت : لقد أرسلت إليها خادمي الخاص يدعوها للقصر ؛ ولكنها اعتذرت بأعذار أوهى من خيط العنكبوت ..!

نهض الملك عن كرسيه وهو يقول : صبرا يا عبلاء .. ستعرف هذه المغرورة من أنا ؟! من هو الملك معن ؟!

فقالت الأميرة هامسة ومنبهة لشأن ما: الشعب يحب الأميرة يا معن!.. لا تتهور .. واعلم أن أباك خشي عليكم من الفتنة وضياع الملك من العائلة .. فرضي بأن تكون أنت وريثه الشرعي..

فقال ببطء كأنه استوعب التحذير: لن أتهور أيتها العزيزة ، وكيف أتهور وأنت تشيرين عليّ في الوقت المناسب ؟!

وفي حجرة النوم قالت الأميرة : أخواك .. ! ما أنت فاعل فيهما ؟!

فقال : أما الآن فلا شيء يدور في خلدي نحوهما .

فقالت الأميرة بحزم وعزم : المهم يجب أن تكون ولاية العهد لابنك حسن .

فرد عليها قائلا بدهشة : حسن !! وهل يصلح .. إنه صبي صغير وذو حمق .. وعلى كل سوف أفكر بذلك فيما بعد أيتها الملكة .. سأصنع لك حفلا بهيجا يوم تنصيبك ملكة بعد سنة من اليوم.

فقالت بتبرم :آنتظر سنة لأصبح ملكة .. لم لا تخلع أمك التاج من الآن ؟!

فقال ضاحكا : النظام أيتها الحمقاء .. النظام !!

هذه أحلام وأفكار الملك الجديد على بلاد النعام ، خلاصتها الخلاص من اخوته مع أنه أصبح ملكا بموافقتهم ومباركتهم ، ومع أنه اتفق مع زوجته أن لا يتهور ، وأن يحسب لكل خطوة مائة حسبة ، وها هو في اليوم التالي عزل الأمير ربيعا عن قيادة الجيش الملكي ، وعين ابن عمه سالم أخا امرأته عبلاء مكانه ، وعلى أثر ذلك العزل اعتكف ربيع في منزله وقصره ، مما أثار قلق معن فألقى به في السجن ، ولما تدخل الأمير زيدان الشقيق الثالث لإصلاح ذات البين عزله عن قيادة الحرس الملكي، وسلم المنصب لابنه الكبير صعب ، فغضب زيدان أشد الغضب ، وترك المدينة سرا قبل أن يقبض عليه ، والتجأ لملك بلاد الشرف ، ولما علم مكانه أرسل الملك معن رسولا إلى ملك تلك البلاد يطلبه منه ، على أثر هذه الأحداث المتلاحقة أرسلت الأميرة تاج اللوز رسولا إلى أخيها الملك تطلب حضوره للاجتماع بها أو أن تذهب إليه فوافق على مجيئها ، ودخلت القصر الكبير بفرسانها السبعة ووصيفاتها ، وأمر الملك لما أدخلت عليه بصرف الحاشية فلما خلا المكان من سواهما قالت بقوة وجسارة معهودة فيها : أيها الملك الجبار .. ما الذي تفعله بالمملكة ؟! كيف تسمح لنفسك بعزل أخويك من مناصبهما وتخون وصية والدك الذي لم يبرد جسده بعد ؟! إن الظلم يؤذن بزوال الملك عن الأسرة أيها الملك المغرور !

فرفع الملك صوته غاضبا وقال : ويلك!! .. هذه وقاحة لم اعهدها فيك أيتها الأميرة .. كيف تخاطبي مليكك بهذه الجسارة والقحة ؟! .

فصاحت هي الأخرى : لا أريد أن أسمع منك هذا الكلام .. اخرج أخاك من السجن، واعتذر له، واعد له منصبه ، ولا تقطع رحمك أيها الأحمق .. فإن كنت متضايقا من وجوده بقربك فوله

إحدى المدن .. وأيضا أرسل في طلب أخيك الهارب ، واعتذر له أيها الملك الأحمق

فزاد الغضب في قلب الملك معن ، ورعد وزمجر ، وخرج الزبد من شدقيه ورفض عروضها ثم قال بعد ذلك ساخطا: كنت أظن أنك قادمة بلين ولطف لتشفعي لهما .. أتعلمين أيتها الحمقاء أني سأرغمك على الزواج من أحد الأمراء لعل رأسك تلين وتتعلم كيف يكون الكلام مع الملوك؟.. ولن أدللك كما كان يفعل أبي المسكين معك .

ضحكت الأميرة وقالت : أيضا هذه تتدخل فيها!.. يا معن يا ابن شيبان .. سأمهلك ثلاثة أيام أنت وزوجك الماكرة ، وفي اليوم الرابع إن جاءني الرسول وبصحبته ربيع عفوت عنك ، واستقر لك التاج وإلا ستعرف من هو الأقوى أنا أم أنت وعبلاء الحمقاء .

فقال بحدة وهياج : ويلك!! .. ومن أدراك أنني سأنتظر ثلاثة أيام أيتها المأفونة لأرضخ لك .

وصاح بصوت مزق قاعة الحكم : أيها القائد نعمان ..

فتح نعمان الباب .. وسمع الملك يقول : آمرك بالقبض على هذه الأميرة المتمردة فورا .

وقفز نعمان قائد حرس القصر الكبير هو وجنوده ، وأحاطوا بالأميرة وهم يرتجفون خوفا .. فالأميرة تاج اللوز كانت ابنة الملك شيبان المدللة ذات الجمال والقوة ما غلبها فارس في الميدان ورفضت الزواج إلا من بطل مغوار يهزمها في الميدان ولعب الرمح والطعن بالسيف ، ولزمن هذه الأحداث ما التقت بفارس وتمكن منها، فاستلت سيفها من غمده ، وخرج له صفير يقذف الرعب والوهن في القلوب، وابتعد الملك إلى سلم صغير وهو خائف من فشل جنوده ، فهو لا يجهل قوة وشجاعة الأميرة فهي ابنة أبيه فالتفتت إلى أخيها وقالت : أيها الملك .. دعني انصرف قبل فوات الأوان .

فقال بغضبه السابق رغم خوفه وقلقه : لا يصلح ملكان في دولة .. لا تقتلوها أيها الفرسان .. لقد اخترت لها بعلا لعلها تعود أنثى تحبل وتلد .

فقال قائد حرس القصر نعمان : أيتها الأميرة سلمي سيفك .. نحن نعلم أنك خير من حمل السيف.. ونحن ننفذ أمر الملك..ويعز عليّ أن استلم سيفك ولكن ولكن..

اشتد غضب الأميرة وضحكت بحدة وقالت : خذه .. إن استطعت .

وقبل أن يرد نعمان كان سيفه يحلق في فضاء الديوان والأميرة تقول : اذهب إليه يا نعمان .. لن أقتلك .. هذا قصر أبي لن تسيل على فرشه دماء إن شاء الله .

بهر الملك والفرسان لسرعتها في نزع سيف نعمان من قبضة يده القوية ، فالملك يعتبره من أقوى الحرس وأشدهم بأسا ، فعاد نعمان بالسيف في جنون وغضب ، ووقف أمامها بتحد أكبر وقبل أن يعبر عن غضبه كان السيف يطير ثانية من بين يديه وقالت بهدوء : أيها الغبي .. لا أدري كيف يرضى بك معن حارسا على حجرة نومه ؟ ابتعد أيها الأنسان.

صاح الملك : أيها الفرسان اهجموا عليها .

لم يتقدم أحد ومشت الأميرة بثبات وهدوء نحو الباب ، والملك والفرسان في دهشة وحيرة وذهول، ونعمان يبكي ويعض أنامله من الغيظ والقهر والفشل ، ولما اعتلت صهوة جوادها التفتت إلى الذي يتبعها ببدنه وهو مسلوب الإرادة : بعد ثلاثة أيام أيها الملك .. وإلا سأنزع هذا التاج عن رأسك .

وسمعت الحاشية والوزراء هذا الكلام الغاضب ، ودخلوا على الملك المذهول وهو يصيح : لا يصلح ملكان في دولة .. يجب أن تموت هذه المغرورة .. إنها حمقاء .. إنها .. إنها ...

اجتمع الملك معن بزعماء الجيش والحرس ، وشاورهم في خطر الأميرة تاج اللوز على العرش والاستقرار، وتدخلها بشؤون المملكة ، ولما انتهى الملك من ذكر المخاطر التي تتعرض لها المملكة من أخته، قال سالم قائد الجيش وابن عم الملك: أرى يا مولاي أن تمهلها الأيام الثلاثة لنرى ما تفعل بتهديدها لنعذر أمام الناس إن أسأنا لها !

فقال صعب قائد الحرس : أرى يا والدي أن تعتقلها ، وتقذف بها إلى سجن حتى تلين رأسها ومن تحرك من الأمة والشعب نفتك به أو نرميه في سجن أو بئر عميق تنهشه الأفاعي والعقارب وأشار بعض القادة بالمصالحة ونفيها من العاصمة الملكية ؛ لأن الدم سيجلب الدم .. والقتل سيجلب القتل .. وتنشب حرب داخلية تفتك بالجميع ، ولما كثر لغطهم قال الملك في النهاية

: سأصبر ثلاثة أيام أيها القادة ؛ لنرى ما في جعبتها من شر وفساد؛ وليعرف الشعب مدى حبنا لأختنا ومدى صبرنا على تدخلها في شؤون ملكنا .

ولما التقى الملك بزوجته عبلاء خاطبته بحدة وقوة : ماذا فعلت بالملكة الجديدة تاج اللوز؟

فقال بدهشة : أوصلتك الأخبار؟ .. لقد سحقت نعمان أمهر الفرسان بلحظات ؟! إنها قوية لقد خشيت على نفسي منها .. إنها وحش في ثوب امرأة !

أخذت عبلاء بالضحك والسخرية ، وسمعت الملك يقول : لم نفعل معها شيئا .. سأنتظر ثلاثة أيام لنرى ماذا ستفعل أختنا بنا ؟

فصاحت به بحقد جلي على الأميرة : تنتظر .. ولماذا تنتظر ؟! تحرك بسرعة وفورا .. قبل أن تنزع التاج عن مفرق رأسك إن لم يطر رأسك .. أيها الأحمق .. إنها وحش كاسر .. عليك بحبسها ، بل اسفك دمها ودم كل من يتطاول للتاج والعرش .

فقال بانبهار : أأقتلها؟ !! لا .. هذا أمر قاس جدا .. بل انتظر كما أشار قائد جيشنا الأمير سالم .. ولقد أحطت قصرها بالعيون .

فقالت الأميرة بأسف واستسلام : أرجو أن لا تندم .

فقال : يا زوجتي الحبيبة .. يا عبلاء الحمقاء .. الناس تعشق الأميرة .. كم من معركة خاضتها مع أبي ؟! وكانت تساعد في كل انتصار ، لها قلب أقوى من حجر الصوان .. بل سحقت كبرياء نعمان ونزعت سيفه مرتين .. وأنت تعلمين من هو نعمان ؟! إنها قوية .. ولا أدري لماذا أخافها وأخشاها ؟

فقالت بمكر وخبث : الحيلة تغلب الشجاعة والقوة .

فقال باستسلام : هات ما عندك من الحيلة يا ابنة العم ؟

فقالت : نزوجها من سالم قائد الجيش.

فغر الملك فمه من الاستغراب وقال بدهشة وتعجب مما اقترحت : سالم أخوك !! وأي حيلة في هذا ؟!

ردت الأميرة عبلاء بمكر : ارسل إليها رسولا يعرض عليها الزواج من القائد سالم ابن عمها مقابل العفو عن ربيع وزيدان .. ولسوف يدبر سالم نفسه معها ويلين رأسها الصلب .

صمت الملك لحظات ثم قال : إنها تكرهك وتكره سالما أشد الكره فكيف ترضى به زوجا لها إن هذا لشيء عجاب يا ابنة الكرام ؟!

فقالت : حبها لاخويها يدفعها للموافقة والرضا بالقائد سالم .

فقال بحيرة وشك : لا أدري المعاني البعيدة التي تودين الوصول إليها من هذا الزواج .. ولكني سأطيعك لأنني أثق براجحة عقلك .. وافعلي ما تفكرين فيه .

فسرت الأميرة من موافقة زوجها على خطتها وعرضها الغريب ، وأبدت امتنانها للملك وهي تقول : سأدبر الأمر .. لا عليك أيها الملك السعيد .. ارقد مطمئنا من ناحيتها .. واهنأ بالا في ملكك العامر يا قرة العين .

وأرسلت الأميرة وراء الأمير سالم قائد الجيش وشرحت له فكرتها ، فأظهر رفضه الشديد في بداية الأمر وعادت تقنعه قائلة : أيها الأمير .. عندما تتزوجها ستعود امرأة حسناء ناعمة لطيفة تنشغل بالهوى والعشق والأولاد والبنات .. وحبها لربيع وزيدان سيدعها تتنازل عن قسوتها وحميتها .

فقال وهو غير موقن بنجاح زواجه : وإن فشلت في ذلك الحب ؟!

فاقتربت من أذنه وهمست بحقد وبغض شديد على الأميرة تاج اللوز : تتخلص منها .. بقتلها خفية .. ولا يشعر أنصارها ومحبوها بذلك .

فقال هو الآخر بصوت هامس : وبعد ذلك ألا يصحو ضمير زوجك ؟!

فقهقهت الأميرة الحاقدة، وقالت بسخرية وثقة كبيرة بتدبيرها للأمور : لن يصحو .. فهو لا يفكر إلا بأن يكون سيدا مطاعا ملكا على البلاد والعباد ، وهمه رحلات الصيد ومطاردة الوحوش .. وعندما أتوج ملكة سأكون أنا الملكة الحقيقية للبلاد أيها الأخ الكريم .

مرت لحظات من الصمت الغريب ، ثم قال القائد وهو يهز كتفيه استغرابا : كلامك جميل !

ولكن عواقبه وخيمة .. ولكني طوع بنانك يا أخية ، فهذه أول مرة في تاريخ أسرتنا من يستلم منا قيادة الجيش ، بل من ستصبح ملكة .. وذلك بفضلك وجهدك الدؤوب .. دائما نحن في الرتب الدنيا .. لقد كان أبى ذليلا حقيرا أيام الملك شيبان بل لا أعقل كيف زوجك شيبان من ابنه معن ؟! .. ولكنك ذكية ماكرة تحسنين التخطيط والتدبير .

فقالت بخيلاء وغرور : كما رسمت وتزوجت معنا ، ورسمت أن يكون ملكا سأدبر الأمر وانقل الملك إلى أسرتنا .. فبزواجك من تاج اللوز تكون الخطوة الأولى على درجات العرش ابنك منها سيكون الملك المتوج وسوف يعود العز والمجد لأسرتنا دون أبناء عمومتنا أيها القائد

فقال سالم قاطعا أحلام أخته : هذا إذا وافقت على الزواج مني مقابل العفو عن أخويها وإن رفضت ماذا ستفعلين ؟

فنظرت إلى عيني أخيها بقوة وقالت بقسوة وحقد ظاهر : يجب أن تموت كما قال سيدك الملك لا يصلح ملكان في دولة !

ثم أرسلت خادما للأميرة تاج اللوز تطلب لقاءها، فوافقت تاج اللوز والتقت الأميرتان زوجة الملك وأخت الملك وقالت تاج اللوز لها باحتقار جلي : آ .. ما في جعبتك أيتها البلهاء ؟

ابتسمت الأميرة عبلاء وقالت بصوت ضعيف ذليل : أنا لست بلهاء يا ابنة العم .. أنا امرأة أخيك .. أنا عبلاء الأميرة الحسناء ..

فقالت تاج اللوز: نعم .. ما العرض الذي جئت به ؟؟ ترغبين بتزويجي من سالم لينجب لك ولدا يصير ملكا .. أو تدسين لي سما .. أو ..

صعقت عبلاء وفغرت فمها دهشة لَم تسمع وقالت : مولاتي .. ماذا تقولين ؟ .. وأين أولاد أخيك عن وراثة الملك ؟! .. أولادي .. هل سأتخلص منهم ليصير ابن أخي ملكا ؟! .. جواسيسك ينقلون إليك أفكار غريبة يا حبيبتي .

فقال الأميرة وهي تهز رأسها : ماذا أقول؟! .. هذا كلامك أيتها البلهاء .. لن أتزوج سالما لأرى كيف تمكرين بي ؟ .. فانصرفي في أمان الله يا ابنة العم ..

عادت عبلاء للقصر ، وكلها غضب وسخط وخزي ، وكان سالم في انتظارها ورآها وهي في هذه الصورة الغاضبة الحاقدة فقال : ما بك أيتها الأميرة ؟!

فقالت : كل القصر جواسيس لها .. كل القصر عيون علينا .. لقد نقلوا لها كل الكلام الذي تكلمت به أيها الأحمق .. يجب أن نتخلص منها على الفور .. إنها شيطانة !

صعق سالم لما سمع وقال : ازداد خوفي ورعبي منها .. لمَ كل هذا الصراع يا ابنة أمي وأبي ؟!



أمر الملك معن بمحاصرة قصر الأميرة بناء على طلب الأميرة عبلاء ، وتحرك سالم على الفور وحاصر القصر من جميع الجهات ، واضطربت المدينة على الفور، وانتشر الخبر بين الناس أن الأميرة تاج اللوز قد حوصرت وأن أخاها الملك يريد القضاء عليها ، فتجمع الناس واتجهوا نحو قصر الأميرة، فطردهم الجنود شر طردة فعادوا لبيوتهم يتوجسون شرا سيعم البلاد ، وبعد ثلاثة أيام من الحصار أمر الملك الجند بإحضار أخته مكبلة بالقيود ذليلة ، فاقتحم الجنود القصر ، ولم يجدوا سوى الخدم وبعض الجنود يحرسون الأبواب ، ولم تكن الأميرة ولا حرسها الأشداء في القصر لقد تركت المدينة بعد مقابلتها للأميرة عبلاء ، وهي الآن في طريقها إلى مدينة الجنود في شمال البلاد ، فلم علم الملك والأمراء بهرب الأميرة دب في قلوبهم الوهن ، وخشي الملك من تمرد في صفوف الجند ، فوهبهم الأموال والمكافآت ، وكان يقول لزوجته : بدأ التاج يهتز فوق رأسي أيتها الأميرة !

فقالت الأميرة بحنق لفشلها بالقبض على غريمتها: سأرسل وراءها سفاكا ليسفك دمها .. اطمئن أيها الملك السعيد .. ولن يهتز التاج وأنا على قيد الحياة .. أنا أو هي في هذه الدنيا .. ولسوف ترى ما تفعل الملكة عبلاء .

وبينما الملك يتشاور هو والموالون له من الأمراء والقادة جاءه رئيس السجن ليخبره بهرب أخيه ربيع ، فصعق الملك وكاد يقع عن سريره ، ووضع يده يتحسس التاج فوق رأسه ، وبعد أيام وصل الخبر أن الأميرة تاج اللوز نزلت مدينة الجنود ، وأعلنت تمردها على الملك ، وأخذت

تحشد الجنود والفرسان ، فتجمع حولها ما يزيد عن ألف فارس ومتطوع ، وفي هذه الأثناء لحق بها أخوها ربيع فسرت بلقائه ، وجرى بينهما حديث طويل وعتاب قال لها معاتبا : ألم أقل يا تاج اللوز أن معنّا يحقد علينا ..وقد ملئت زوجه قلبه علينا ؟!

قالت وهي تشعر بالأسف : لا أنكر ذلك أيها الأمير .. ولكني قصدت منع الفتنة وانقسام البلاد وما كنت اعتقد أن يتحرك بهذه السرعة .. وما عهدته شجاعا في المعارك وتدبير السياسة والحكم إنما البلاء.. كل البلاء من الحية الرقطاء زوجته وأهلها .. كانوا يخططون ويدبرون.. ولم نحسن تقدير خطرهم ومكرهم .

فقال: على كل حال .. لا مجال للتلاوم الآن .. فهل يكفي هؤلاء الفرسان لقتال جنود الملك شيبان ذوى العدة والعدد الكبير؟!

فقالت بحدة وضيق : أليس لنا أنصار وأعوان في جيشه وحرسه ؟!

فقال : لقد علمت أنه أبعد كل فارس ومقاتل هواه معنا .. ولقد غير وبدل في العرفاء والقادة وأعطى ووهب.. فبين يديه المال والذهب والفضة والخيل والسيوف .

فقالت : ألا نقاتلهم؟! ..أم هل نبحث عن حليف؟ ومن يرضى من الملوك أن ينصرنا ويؤيدنا والتضحية من أجلنا ؟! فأنت تعرف أن أباك لم يدع لنا صاحبا ! ما من ملك إلا له مع جولة ومقتلة ، فهذا غزاه في عقر بيته، وذاك قتل أخاه أو أباه أو ابنه .. بل أرى أنهم اليوم مسرورون لما حل بنا من الشقاق والفراق .. وهذا ما كنت أخشاه ! ومن أجله سكت عن عدم إبعاد معن عن الملك والحكم .

فقال : ما العمل ؟

فقالت : نقاتل .. ندرب هؤلاء الأبطال، ونلاقي بهم جنود معن ، والنصر بيد الله يهبه لمن يشاء

فقال بخوف : يا أخية .. عددهم قليل.. وجنود الملك الزاحفون يزيدون عن عشرين ألف مقاتل .

فصرخت غاضبة: أين أصدقاؤك في هؤلاء الجنود ؟! .. ألا يمكن أن ينقلبوا على رؤسائهم ؟!

فقال بضعف وخور جلي : سأحاول .

فصاحت مرة أخرى : لابد من المعركة .. إما النصر وتحطيم عبلاء الماكرة التي سخرت منا كلنا أو الهزيمة والموت ببسالة دفاعا عن شرفنا وكرامتنا .. لا حياة للجبناء .

خيم الصمت على الأميرين ثم قال ربيع : أرى لقاءنا معهم انتحارا .. والاعتماد على انقلاب الجنود على زعمائهم أراه انقلابا ضعيفا .. يا أختي العزيزة .. فلنترك المدينة ونبحث عن ملك نصير خير من نخسر هؤلاء الأبطال يا تاج اللوز .

قالت : سوف اجتمع بهم وأرى ما يقولون .

التقت الأميرة بالفرسان وحاكم المدينة وتبين لها أن المدينة لا تصلح للحصار والصمود أمام جنود الملك وأنصاره في المدينة، فشعرت بالخذلان والهزيمة، وقررت الخروج من البلاد ومن شاء أن يتبعها نحو بلاد الشرف حيث سبقهم زيدان فليفعل ، ورحب بهم ملك تلك البلاد البطل جيل الصبوان ووعدهم خيرا ، وأخبرهم خبر رسول الملك معن الذي أتى يطلب زيدان ولم تمض أيام حتى وصل وفد معن يطلب من الملك جيل الصبوان تسليم الأمراء أو الحرب بين المدينتين .

فأمر الملك بضيافة الوفد ، والتقى بالأمراء الثلاثة تاج اللوز وربيع وزيدان وذكر لهم مطلب أخيهم الكبير معن فقالت الأميرة : أشر علينا أيها الملك !

قال : في الحقيقة أيتها الأميرة أنا في حيرة من أمري .. لا أستطيع أن أنسى الحروب التى دارت بين بلدينا سابقا وكم هلك فيها من الأبطال والرجال ؟ .. وما صدقنا وأن جرى الصلح بيننا وانتهت المعارك بيننا ، وتسليمكم لا أستطيع فعله ، فالأفضل أن تخرجوا سرا من البلد ..وادع أنكم هربتم على حين غفلة منا .. وأنصح لكم بالمسير للملك عدنان ملك بلاد الوادي .. فهو فارس مغوار وبطل كرار لا يشق له غبار .. وعنده جيوش لا يعلم عددها إلا الرحمن .

قالوا : هذا رأيك ؟

رد الملك : أجل !

وقبل أن تمضي أيام الضيافة على وفد الملك معن انتشر خبر اختفاء الأمراء واتباعهم ، فغضب الوفد من الملك جيل الصبوان وعادوا لبلاد النعام ، ولقد أصبح الأمراء الثلاثة في حالة يرثى لها وهم يقطعون البراري والقفار والوديان والجبال ، وكانت الأميرة تاج اللوز تقول : لقد ذللنا ذلا شديدا لا يمكن نسيانه يا زيدان .

فقال بأسف وحزن : أسأنا تقدير خصومنا أيتها الأميرة .

فقالت بحسرة ودموع: ليتنا التقينا بجيش الملك وقاتلنا يا ربيع حتى الموت .. لم يترك لنا والدنا حليفا وصاحبا .

فرد ربيع : النصر لا بد له من صبر ومعاناة .

ولما وصلوا لبلاد الملك عدنان رحب بهم وأحسن وفادتهم ، واستمع لقضيتهم ووعدهم خيرا وأسكنهم في منازله وضيافته ريثما يصل وفد بلاد النعام ، ولم يطل الانتظار فقد اقبل الوفد ـ وفد الملك معن ـ يطلب استلام اخوته الأمراء الهاربين، فطلب مهلة ثلاثة أيام يفكر بالأمر مع كبار قومه ، التقى الملك عدنان بالأمراء الثلاثة وقص عليهم مطالب الوفد ، ثم قال : أيها السادة إذا قمت بمساعدتكم فما جزائي مقابل تضحيتي ببضع مئات من فرساني وجنودي ؟

سكت الأمراء قليلا ثم قال عنهم ربيع : ماذا تريد ؟ كل فارس يشارك في القتال له مائة دينار وجواد ودرع وسيف .. وكل من يقتل يعطى ورثته ألف دينار .

فقال عدنان الملك : وأنا سيد هؤلاء الفرسان !

فقال ربيع وهو حائر من غاية الملك : ما تطلب لنفسك من المال والثياب والخيل فهو لك!

ففكر الملك قليلا ثم نظر نحو الأميرة فلمعت عيناها وقال : لا أريد ذلك .. أريد الأميرة تاج اللوز حليلة لي !

نظر القوم في بعضهم بعضا دهشة ، وران عليهم الصمت وتكلمت الأميرة فقالت : سيدي الملك .. إنني لا أصلح أن أكون زوجة .

فأجابها قائلا : اعلم أنك ذات شجاعة وفروسية ولكنك في النهاية امرأة أيتها الأميرة الحسناء

وردت بشيء من الغضب : نعم، ولكن صعب أن أعود أنثى .. تصلح للحب والغزل والأولاد أيها الملك .. أخشى أن تندم على تضحياتك فيما بعد .

فقال بهوى وعشق : لن اندم أيتها الأميرة .. فأنا أعرض عليك ملكي ؛ فإذا كنت تكنين محبة لأخويك الهاربين، وتريدين أن تضعي تاج بلاد النعام على رأس أحدهما فاقبليني بعلا لك .

فقالت : دعني أفكر في الأمر قبل اتخاذ القرار الحاسم والمهم .

فرد عليها قائلا : ولكن رسل أخيك الأكبر ينتظرون .

فصرخت في وجه فجأة محتجة : دعهم ينتظرون .

غادرهم الملك يتشاورون ويفكرون ، وحاول اخوتها الضغط عليها للموافقة على شرط الملك وأمام إصرارهم قالت : غدا صباحا سيكون قراري بين أيديكم .

واجتمعت بأحد فرسانها الأشداء وأصرت له بأمر وفي جوف الليل هربا من بلاد الملك عدنان ولم علم عدنان في الصباح بهربها اشتد غيظه وحنقه ، وأمر بحبس أخويها وفرسانها ، وذهبت أحلامه بالزواج من الأميرة أدراج الرياح .

ولما ابتعدت الأميرة تاج اللوز وفارسها تميم عن بلاد الملك عدنان ، قررت التنكر وإخفاء شخصيتها ردحا من الزمن ثم العودة لبلاد النعام للمكر والكيد والاحتيال ، فخلعوا ملابس الفرسان في أول بلدة وصلوا إليها وباعوا جواديهما ، ولبسا ملابس عامة الناس ، وتظاهرا بأنهما زوجان مهاجران من بلديهما لضيق اليد والحاجة ، وبعد أيام نزلا بلدة أخرى خوفا من الطلب والعيون ، واستمر تنقلهما بين المدن سنة من الزمان ، ثم قررا العودة لبلاد النعام سرا على صورة جارية للتاجر تميم الذي أصبح خاتما وجاريته رمح ، وقامت الأميرة ببعض التشوهات على ووجهها وشعرها حتى أصبح من كان يعرفها يشك في شخصها ، وبعد عدة شهور من الرحيل نزلا بلاد النعام ، فاشترى تميم بيتا جميلا قرب النهر الكبير ، ثم بعد حين اشترى دكانا يبيع فيها الملابس ومعه

جاريته رمح ، ومكثت الأميرة متنكرة ثلاث سنوات في مملكة أبيها تحاول زعزتها دون فائدة تذكر ، وقد تأكد لها أن الملك قد استقر لأخيها معن ، وأن أخويها ربيع وزيدان يقبعان في سجن المدينة بعدما تسلمهما من الملك عدنان ، وأن عبلاء أصبحت ملكة البلاد وهي التي ترسم وتحكم وما زالت تتحرى وتبحث عنها في بقاع الدنيا كلها ، حدثت بعض القلاقل في الجيش والحرس ولكن الملك أخمدها بسرعة وفتك بالمتمردين بشدة وقسوة ، ولما رأت الأميرة أنها عاجزة عن إحداث فتنة والانتقام وأن اتصالاتها مع كبار أهل المدينة قد فشلت وخشيت من فضح نفسها قررت الخروج من بلاد النعام للبحث عن نصير قوي، وفي الطريق تخلى عنها تميم لمرض ألم به ، واعتذر لها عن متابعة الرحيل معها، فقال لها في الختام : مولاتي أرى أن المرض اشتد عليّ ، وسأعود لبلادي أموت فيها .. وإن قدر لنا الاجتماع مرة أخرى ستجدين البيت والدكان في انتظارك وأنا الخادم الأمين

أثنت عليه الثناء الحسن وعذرته ، وأخذت بالتنقل بين البلاد والمدن وهي متنكرة بزي شاب رث الثياب حتى دخلت مدينة الهناء مساء يوم مثقلة بالتعب والغم ، وإلى أقرب خان نزلت وحطت رحلها ، وفي إحدى الغرف ألقت نفسها على الفراش لتنام وتستريح من وعثاء السفر ولكن القلق والتفكر بحالها وفشلها في القضاء على غريمتها عبلاء ، وانتصار معن عليها منعا عنها النوم تلك الساعات، وعجبت لجبن الناس والجنود وسكوتهم على الظلم ، وأدركت أن الجنود لا ناقة لهم ولا جمل في هذه الفتنة ، والأجور ما زالت تدفع لهم.. فلماذا يتدخلون في شأن لا يعينهم ؟ اخوة يتصارعون على العرش والملك .. فهم مع المنتصر والقوي ، فكانت تبكي وتشهق من القهر والفشل وتقول : لقد أخطأت في تـقدير قوة خصومي بل لم أكن أراهم أصبت بالغرور والعجب.. وغرتني قوة ساعدي وعضلاتي ، ونسيت العقل والتدبير والحيلة فتوهمت أنني سيدة قوية ؛ والناس مع القوي فخذلوني .. إنما العتب على أبي .. لقد عود الجنود والحراس على الذل والطاعة العمياء .. لا ألوم إلا نفسي لقد كانت علاقتي مع الجنود والفرسان هشة لقد ظننت أن أخواي محبوبان من الجند .. حتى اتصالي مع بعض القادة خفية أثار الفزع

والخوف والرعب في نفوسهم وأبو الاجتماع بي .. حتى تميم فارسي القوي ملّ صحبتي .. لقد انتصرت عبلاء ! كانت تحسن علاقتها مع القادة وزوجاتهم وبناتهم ها هي هداياها وأموالها قد نفعتها .

وبينما أميرتنا تناجى نفسها سمعت صوتا أمام حجرتها فظنت أن أحد اللصوص يريد أن يتسلل لحجرتها ، فتحفزت ونهضت بسرعة، وأصغت بكل حواسها إلى الصوت فسمعت صوتا يقول : الحجرة جاهزة أيها الأمراء والسادة .. وهذا الطابق خال من الزبائن .

وسمعت فتح باب مجاور لحجرتها الصغيرة ولاحظت من ثقب الباب عدة أشخاص يزلفون منه فقالت : إما أربعة أو خمسة ثم سمعت صوتا يأمر قائلا : حائر .. قف عند أول السلم وانتظر حتى نخرج إليك، وإن حاول أحد الدخول فامنعه واخبرنا بالأمر .

ابتعدت أقدام حائر ، وانشغل ذهن الأميرة بهؤلاء الرجال ، وأحست أن بالأمر شيئا خطيرا .. أمراء يجتمعون في خان في جوف الليل وليس معهم نساء ، فاتخذت قرارا بالتلصص عليهم لتعرف لماذا التقوا هنا سرا ، ففتحت الباب بخفة القط وتقدمت نحو حجرة الاجتماع ، فسمعتهم يتحدثون بصوت مسموع ، وأحيانا تخفت حدة أصواتهم ، وأدركت من مجمل حديثهم أنهم يرغبون بالقضاء على السلطان وتولية ابن عمه مكانه ، وأن أحدهم اتفق مع قاتل مأجور للغدر بالسلطان أثناء مروره لقصره بعد عودته من ديوان الحكم والملك ، وأن هذا القاتل الغادر ينتظر وقت الإشارة لتنفيذ جريمته ، وأنهم يفكرون بطريقة يبعدون حارس الملك عنه أثناء عودته لقصره ليتمكن السفاح القاتل من أداء مهمته ، وعقد هذا الاجتماع للتفكير بطريقة لإبعاد الحارس هائل عن الملك أثناء انتقاله من قصر الحكم إلى قصر النوم في الليل .

وكانت الخطة الرهيبة أنهم اتفقوا على ليلة لقتل السلطان ، ووضعوا خطة لإبعاد الحارس هائل وتتلخص أنه عندما يخرج الملك من الديوان حيث بيته ، فعندما يصل إلى الجسر الموصل لقصره يعترضها خادم للحارس تم تجنيده لهذه المؤامرة ، ويخبر سيده الفارس الحارس أن سيدته مريضة وهي في خطر شديد وربما هي تحتضر وعلى مسمع من السلطان ، فلابد أن السلطان

سيأذن له بالانصراف ، ويقطع الجسر وحده ، وهناك قبل ولوجه القصر سيلتقي بالقاتل السفاك فيطعنه ويختفي ، وفي الصباح عندما يأتي صاحب الحديقة فسيكتشف الجثة إن لم يسمع أحد صرخة الملك ، ثم سيعلم الناس بالخبر ، ولتسارع الأحداث سيتهم الناس الحارس بالغدر به وقال أحد المتآمرين : وهذا يعتمد على شجاعة الخادم وحسن إتقان دوره وشهامة الملك أيضا في التصريح لحارسه أثناء المرور بين القصرين بالذهاب للزوجة المريضة .. لأن الحارس إذا لم يبعد لن ينفذ السفاح جريمته .

اطلعت الأميرة على هذه المؤامرة الهائلة والرهيبة والخطط الشيطانية ، ولما رسمت صورة هؤلاء الشياطين على ذاكرتها والذين كانوا يجتمعون على ضوء الشموع تسللت عائدة لحجرتها ، وهي تعجب للشر الموجود في بعض نفوس خلق الله ، وسمعت هاتفا في داخلها يقول : قد يكون هذا الملك طاغية يستحق الموت .. أنسيت أخاك معنا ..فوجمت وهي في دهشة وحيرة وعادت تسمع نفسها تقول : لماذا يرغبون بالفتك بالملك وتنصيب ابن عمه ؟! هل هو مثل أخي معن ناكرا للجميل .. متسلط وظالم ؟؟ هل تسكت عما سمعت أو تخبر الملك بهذه الصدفة .. وهل يصدقها السلطان؟ .. الحل أن تعرف من هو السلطان وصفات هذا السلطان ؟

عند بزوغ الفجر انسل الرجال المتآمرون الواحد تلو الآخر ، فهدأت أعصاب الأميرة ، واستسلمت لسلطان النوم بعد ذلك الإرهاق الشديد، وأمضت ساعات يسيرة مع النوم ، ثم رحلت عن الخان إلى خان آخر ، وأخذت تجمع أخبارا عن السلطان المسمى سمعان، فعلمت أنه تولى الحكم من زمن يسير، وهو شاب في الثلاثين من عمره ، وهو محبوب من شعبه ، وقد استلم الحكم بعد وفاة عمه الذي أخذ الحكم بعد وفاة والد سمعان ؛ وذلك عن وصية أبيه ، وعلمت أن ابن عمه أي ابن الملك المتوفى يطمع في الملك فقالت في نفسها : لابد أن يكون أحد المتآمرين .. ولكن كيف أصل للسلطان سمعان؟ يجب أن أصل .. فكتبت رسالة ودفعت بها للكتبة الذين يجلسون أمام ديوان الملك يرفعون له شكاوي المظلومين، فرفعت شكوى على أنها مظلومة ترغب برفع مظلمتها للسلطان ، فلما ادخلوها على قاضي الملك وعلمت أنها بحضرة

القاضي قالت له : إن قضيتي لا يساعدني فيها إلا السلطان بنفسه ولن أتكلم بها إلا أمام مولانا السلطان .

وأمام إصرارها ورفضها بالحديث للقاضي قال لها القاضي وهو يظنها رجلا : أيها السيد عد بعد يومين حتى نكلم مولانا السلطان ويستطيع مقابلتك ورؤيتك .

فشكرته وخرجت وهو يعتقد أنه يكلم رجلا ، ومن حسن حظ السلطان أنه وافق على الاستماع لشكواها لما قص عليه القاضي عن إصرارها على لقائه ، وبعد يومين أتت تاج اللوز لديوان المظالم واستقبلها القاضي وكان معه السلطان فقال لها القاضي : أيها السيد .. ها هو صاحب السلطان يستمع إليك .

فنظرت للسلطان وقالت : مولاي السلطان أرغب بالحديث إليك في خلوة .

فدهش السلطان والقاضي والحراس فوافق الملك ، فاقترب منها الحرس وبحثوا عن أسلحة تخفيها في ثيابها وعجبوا أنها امرأة فقالت : أنا امرأة .

فأبدى الملك والقاضي تعجبهما، فخلعت الشارب أمام الجميع فقال الملك : عجيب ! ما عندك يا بنية ؟

وبعد انصراف القاضي قالت بصوت هامس : هناك يا سيدي من يتآمر عليك وروت له قصة سماعها للمؤامرة صدفة ومن غير قصد ، فلما انتهت من الكلام ابتسم لها وقال مصدقا لها : اعلم بذلك أيتها الفتاة الشجاعة ؛ ولكنهم يستعجلون موتي .. هل تعرفين أحدا منهم ؟

فردت بثبات : لا، أنا غريبة قادمة من بلاد بعيدة .. والقوم حددوا يوم الجريمة والطريقة .

وفكر الملك قليلا ثم قال : أشكرك يا أختاه .. أنت الآن أصبحت حياتك في خطر ويجب أن أحميك .. الآن وبعد قليل سأرسلك مع أحد رجالي المخلصين ليخفيك في أحد بيوتنا، وبعد فشل الخطة سأكافئك .. واستمع لحكاية تركك لوطنك فيبدو لي أنك تحملين حكاية كبيرة وجاءت بك الأقدار إلى هنا وأنا أحب نصر المظلومين .

عجبت الأميرة لذكاء الملك وشجاعته أيضا فقالت : نعم ، أيها الملك الذكي لي حكاية مؤلمة

عندما تنجون بإذن الله من الحاقدين.. سأقصها عليك لترشدني للصواب .

ولما انتهى الحديث بينهما ، وأثنى على شجاعتها رغم أنها غريبة لا تمت للبلد بصلة استدعى الملك القاضي والحرس وكأنه لم يسمع بمؤامرة على حياته وأظهر الثبات والشجاعة ، وقال للقاضي : أشكرك أيها القاضي بأن سهلت لهذه المرأة بعرض شكواها على آذاننا ، وأمر أحد فرسانه بالسير بها إلى أحد المنازل وأمره بالمحافظة عليها حتى يرفع الظلم عنها ، وانصرف السلطان بـعد ذلك لقصر الولاية والحكم



وفي الليلة المرسومة لقتل السلطان، وأثناء انصراف الملك لقصر النوم والنساء القريب من قصر الحكم والأمارة ، وعند الجسر الواصل بين القصرين تقدم غلام وخادم الحارس هائل وأخبره بمرض زوجته المفاجئ ، وأنها ترغب برؤيته وكأنها تموت في هذه اللحظات ، وكان الكلام على مسمع من السلطان الذي كان يضحك في سره ، وعلى الفور دفعت الشهامة والنخوة والحمية الملك أن يأذن للحارس هائل بالإسراع لحضور اللحظات الأخيرة من حياة زوجته ، وتابع الملك المسير بشجاعة وثبات ، واجتاز الجسر الفاصل بين القصرين وهبط إلى الممر الذي يدخله لقصره الآخر ، وعند إحدى الشجرات الكبيرة خرج له رجل مقنع وهو يقول : أنا قاتلك أيها السلطان خذها من يد سبع الغاب .

وكان القاتل قد استل خنجرا طويلا واندفع نحو السلطان بسرعة ليكون للمفاجأة أثرها على الملك ، وانقض القاتل على الملك، ولكنه حاد عنها بشجاعة وثبات أعصاب ، وكان الفرسان المتربصين بالمكان قد أحاطوا بالقاتل ، فحاول طعن نفسه، فلم يمكنوه وسمع الملك يقول : لقد فشلت المؤامرة أيها القاتل المأجور .. فشلت يا سبع الغاب !

واقترب الملك منه ورفع اللثام عنه وهو يقول : يا ترى هل التقينا من قبل يا سبع الغاب ؟!!

ثم قال : لا .. إنها أول مرة أرى هذا الوجه العفن .

وبعد قليل أقبل هائل يجر الخادم الخائن مكبلا ويرميه أمام الملك وقال الملك : الحمد لله لقد نجونا من كيد الخائنين احضروا لي القاضي الآن .. أريد قبل بزوغ الفجر أن يكون كل المتآمرين أمامي.

وبالفعل ما كادت الشمس تسطع بنورها حتى كان القتلة المتآمرون بين يدي القاضي ، وهم يقرون بخيانتهم ورغبتهم بتنصيب ابن عم الملك ملكا على البلاد .

وانتشرت الأفراح في البلاد بعدما علم الناس فشل العصابة باغتيال مليكهم ، وبعد ذلك أحضر الملك تاج اللوز ، وأظهرها للناس وبين شجاعتها لهم وأنها هي التي كشفت خبر المتآمرين للملك بعد أن سمعت حديثهم من غير اتفاق ، وأخبر رجال الدولة بأنه سيتزوجها لمَ قدمته من أجله ، وفوجئت الأميرة بعرض الملك ، ولم تستطع التعقيب على كلامه ، وحاولت أن تتكلم أمام الملك بقصتها ؛ ولكنه رفض الاستماع قبل الزواج ، وأعلنت الأفراح بمناسبة زواج الملك سبعة أيام بلياليها وكان ذلك ، وتزوجت الأميرة الغريبة من الملك الشاب سمعان ، وكم عجب ودهش وفرح لما علم أنها أميرة وابنة ملوك وأخت ملوك ، فزاد بها فرحا وحبورا ، وسعد بأن كانت زوجته الأميرة تاج اللوز بنت الملك المعروف شيبان النابغي ، وأخبرها أنه سمع ببعض أخبارها من الرواة والركبان ، وسعدت الأميرة بهذه الزوج بعد يأسها من إعادة الملك من أخيها الأكبر لأحد أخويها الآخرين ، وسرت لعودة العز لها بعد ذل هذه السنوات ، ومن التنقل بين المدن والأمصار ، وفرح الناس باختيار الملك وخاصة عندما أنجبت للملك غلامين ، وزادت المحبة في قلب الملك لزوجته وامتلأت نفسه ولها وعشقا ، وذات ليلة كانت تجلس الأميرة أو قل الملكة تاج اللوز مع زوجها في خلوة من الناس والصبيان فقال لها الملك : أيتها الملكة الجميلة .. هل نسيت بعد هذه السنوات السبع ثأرك عند أخيك وزوجته ؟

تفاجأت الملكة بالسؤال ودهشت فقالت : مولاي السلطان! .. ما الذي فطنك بحكايتي وجرحي القديم ؟!

فقال : السنوات التي مضت لم تمسح الحزن عن محياك الفاتن .. الحزن ما زال مطبوعا على وجهك أيتها الملكة .. لم استطع أن أنسيك جرحك !

فقالت بحزن : الحق يا مولاي أنني لم أنس ورضيت بالحال لحبك الكبير لي ولولديك .. وأشكر الرب الذي يسرك لي .. فقد خففت من اتراحي وآلامي .

فقال الملك : أيتها الزوجة المخلصة .. والله لو أنك كنت الملكة لقاتلت معك لأعيد التاج براقا فوق رأسك رغم كل الناس ، ولكن الملك أخوك ابن أمك وأبيك.. والشعب والجند يريدونه ووقفوا معه ضدكم .. فلن نستطيع عزله ، ولو نصبنا أحد أخويك الآخرين بعد هذه السنوات قد لا يستقر الأمر والأمن في مملكة أبيك ، وتتصارعون على التاج من جديد ، فمن أجل ذلك تجاهلت المتآمرين على مملكتك أيتها الحبيبة ولو أنها قريبة من بلادنا لضممناها لمملكتنا ولكن

فقالت بقلق ظاهر : ولكن ماذا يا مولاي الملك ؟!

فقال بفرح مما سيقول ويخبر: ولكن عندي أخبار قد تدخل السرور على قلبك، وقد تدفعنا للتدخل في شؤون مملكة أبيك .

فقالت : عجيب أمر مولاي السلطان هذه الليلة ؟!

فقال الملك ضاحكا : لقد وصلتني أخبار عن بلاد النعام.. موطن مولاتي الملكة الجميلة ..

فقالت : جميل أنك ما زلت تذكر موطني وتهتم بأخبارها! .. هات ما عندك يا مولاي ؟

فقال : لم أنس موطنك ألبته.. وكنت انتظر الظرف المناسب .. لقد نـقل لنا أحد التجار القادمين من بلاد النعام ..

فقالت الملكة بلهفة وشوق : عجل وانطق بما في قلبك من الجواهر .

كانت الملكة تاج اللوز بشوق كبير لسماع أي شيء عن مسقط رأسها ، إنها ما زالت تذكر الجاه والقوة أيام ملك أبيها ، وتذكر الذل الذي لحقها من أخيها وزوجته ، وترك أنصارها لها وخضوعهم لعدوتها عبلاء ، فسمعت الملك ينقل لها ما سمع قائلا : لقد اخبرنا المذكور أن بلادكم قد سيطرت عليها الملكة ، وطردت زوجها الملك ، بل حبسته ولكنه تمكن من الهرب ،

والبحث عنه قائم على قدم وساق .. وسأرسل عينا من رجالنا يأتينا بالأخبار الكاملة فما تقولين؟!

لزمت الأميرة الصمت برهة ثم قالت بحقد دفين عجب منه الملك : إنها شيطانة ! .. لسوف تضع أخاها ملكا .

وروت له العرض الذي عرضته عليها قبل مغادرتها قصرها هربا لمدينة الشمال ، وكيف خذلها الفرسان والجنود ؟ ، وروت له أطماع عبلاء في نقل الملك لأسرتها ثم قالت : العين الذي تريد إرساله دعني ألقاه قبل رحيله لأكلفه ببعض الواجبات ..

لم ينقضِ وقت طويل حتى عاد الرسول بالأخبار عن بلاد النعام ، وأخبرهم أن الملكة عبلاء هي الملكة الوحيدة للبلاد ، وأخوها سالم نائب لها ، والملك المخلوع معن لا أخبار عنه ، واخواها ربيع وزيدان قد اختفيا من البلاد منذ زمن بمساعدة بعض أصدقاء والدهما الملك شيبان ، وهناك صراع على العرش بين أبناء معن واخوة عبلاء لم يحسم بعد، والغلاء يعم البلاد نتيجة الفوضى في الحكم ، ولما انصرف العين ، قال الملك للملكة : جاء دورنا الآن أليس كذلك ؟!

فقالت كأنها تحلم : ألا يحق لي يا مولاي أن استرد عرش والدي وأضع التاج على رأس ابني غالب؟!

فقال الملك بقلق وحب : ونفترق يا تاج اللوز ! .. كيف نعيش متباعدين أيتها الحبيبة ؟

فهتفت بصدق ووفاء : لن نفترق أيها البطل .. أنت قرة العين والقلب .. عندما نبعد هؤلاء اللئام عن السلطنة ، نضع نائبا لك على تلك المملكة حتى يكبر ولدك غالب فيستقر ملكا على مملكة جده شيبان ، ويكون أسامة ولي عهدك هنا .

فقال الملك : أفكار مقبولة .. إن بلاد النعام تبعد عنا شهرا والعودة شهر .. مسافة بعيدة ؛ ولكني سأغزوها حتى يذهب عنك الحزن بعد كل هذه السنين من الصبر والانتظار .. وأخشى أن أفقدك يا أم غالب .

فقالت : أنا معك وأطوع لك من بنانك أيها البطل الهمام .

فقال بحماس ورضا : حسنا أيتها الملكة ! سأجهز جيشا بعشرة ألف خيال وأغزو بهم بلاد النعام بنفسي وأعيد لك التاج .. وعلى شرطين أحب أن اسمع موافقتك عليهما .

فقالت بحب وامتنان : مولاي الملك أنا تحت أمرك !

فقال : وعندما ننتصر على قومك وأهلك لا تطلبي مني ترك حكم هذه البلدة فهي مملكة آبائي وأجدادي .

فقالت : والشرط الثاني يا مولاي ؟

فقال بثقة : الأسرى والقادة من قومك وموطنك أنا أتحكم بهم ولا تتدخلي في شأنهم مهما فعلت بهم .. هل توافقين على هذين الشرطين ؟! .

قالت : أوافق يا مولاي ! المهم أن أرى ابنة عمي تقبع في السجن وطريدة مثلي وكل اخوتها معها

فقال : ليس لك هذا أنا الذي أحكم عليها وعلى غيرها .

فقالت : لك ذلك .

فقال : اتفقنا أيتها الملكة.



أخبر وكشف الملك سمعان للوزراء والقادة بحكاية الأميرة تاج اللوز ابنة الملك شيبان ، وأنها من بلاد النعام ، وأنه قد أرسل عينا لتلك البلاد وهو يفكر بغزو تلك البلاد لتكون مملكة لابنه الأمير غالب في مستقبل الدهر ، وبعد مشاورات ومهماسات وافق الوزراء والأمراء على اقتراح الملك ، وتم تنصيب الأمير الصغير أسامة نائبا للملك بوصاية كبير القضاة والوزير بهروان وعم الملك الأمير نعمان ، وأوصى الملك أحد رجاله المخلصين بالأمير الصغير وصاية خاصة؛ وإذا شم رائحة الغدر من الحاقدين الناقمين عليه فعليه أن يهرب بالأمير إلى الغابة ، كان الملك يخشى من أولاد عمومته الغدر بولده أملا بعودة التاج إليهم بعد موت الملك ، وبعد شهور خمس اكتمل استعداد الجيش المحارب ، وتقدم بهم نحو بلاد النعام ، وبعد شهور قليلة وصل الجيش الغازي لأطراف بلاد النعام ، ولم يتعرض لأي معارضة من الملوك الذين مر

بأطراف بلادهم وخصوصا بلاد الشرف وبلاد الملك عدنان ، ولما وصل طرف بلاد النعام انتقل خبر الجيش الغازي إلى الملكة عبلاء ، فانزعجت لهذا الغزو المفاجيء ، وجمعت القادة والأمراء وأرسلت الجواسيس فعاد الجواسيس يخبرونها بأنه جيش قادم من بلاد الهناء بقيادة الملك سمعان ، فتعجبت الملكة والأمراء والرؤساء من هذا الجيش الغازي والزاحف إليهم رغم أنه لا عداوة وثارات بينهم ، وبينما هم في حيرة من دوافع هذا الجيش الغازي أتاهم رسول ومعه خطاب فيه بعد التحية والسلام : لابد أنكم علمتم من نحن ، أنا الملك سمعان ملك بلاد الهناء ذو الفرسان المشهورة والمغاوير الكرام الذين لا يشق لهم غبار ، جئنا إليكم لنأخذ حقنا عندكم وبغيكم علينا ، فأرسلوا وفدا عنكم للقائنا أو اخرجوا بفرسانكم إن كان لديكم أبطال ومغاوير ثم ختمت بختم الملك سمعان ، فلما قرئت الرسالة على الأمراء والقادة ارتبكت الملكة والأمراء لإعلان الحرب ، فهم منذ أكثر من عشر سنوات لم يخوضوا حربا قوية ، وقد التهوا بالدسائس والمؤامرات والصراع على العرش وطرد أسرة شيبان النابغي عن الملك ، فبعد تداول ونظر أمرت الملكة قادة الجيش بالاستعداد للحرب والدفاع عن ثرى البلاد والتاج وقالت للرسول : اخبر سيدك سيأتيك الجواب قريبا وانصرف راشدا .

ولما انصرف الرسول عقدت الملكة جلسة طويلة مع أنصارها ورجال الحكم وكان لسان حال القوم يقول : ما هو حق هذا الملك عندنا وكيف بغينا عليهم؟! وبعد تشاور وتحاور بينهم تقرر أن يذهب وفد لمقابلة الملك سمعان ومعرفة حقه عليهم ، وفي نفس الوقت يستعد الجيش للحرب والدفاع ولقاء الأعداء ، وترأس الوفد قاضي الملكة وابنها حسن وابن أخيها سالم وأربعة آخرين ، فاستقبلهم الملك سمعان أحسن استقبال ، ولما سألوه عن الحق والبغي ، أشار للطفل غالب الذي كان يجلس على سرير صغير بين الأمراء ، وقال لهم : هذا ولدي غالب هو صاحب الحق وقد اعتديتم عليه .

استغرب القوم هذا الكلام ، وطلب القاضي من الملك سمعان توضيح الأمر فقال الملك : تكلم يا غالب .. وقل لهم ما فعلوا بك ؟؟

فالتفتت كل العيون نحو الصبي الصغير ، وأخذ هو الآخر يحدق فيهم ، وقد ران الصمت على الجميع ثم قال الفتى : نعم ، أيها الناس أنا غالب بن الملك سمعان ملك بلاد الهناء.. وأمي هي الملكة تاج اللوز ابنة الملك شيبان النابغي .. فجئت إليكم أطلب عرش جدي من مغتصبيه والسلام .

فقفز حسن كالملسوع وهو يقول : أنت ابن تاج اللوز؟! .. كيف هذا ؟.. لقد ماتت الأميرة منذ سنوات لقد قتلها أحد رجال أمي !

فظهرت الملكة تاج اللوز من وراء الستار حيث كانت تسمع لقاء الملك بوفد الملكة وقالت : أنا الملكة تاج اللوز بشحمها ولحمها !! .. لم تقتلني أمك يا حسن يا ابن أخي .. لقد سخر منكم القاتل .. أنا تاج اللوز ابنة الملك شيبان وزوجة الملك البطل الهمام سمعان وأم الغلام غالب ملك بلاد النعام .. أتيت أطلب عرش أبي واسترد كرامتي وغربتي .

فصارت في الخيمة الكبيرة غمغمة وضجة، وقال الملك سمعان لما صمتوا: أيها الوفد الكريم .. سمعتم الحق الذي نطلب ، وعلمتم البغي الذي حاق بالأميرة وأخويها ربيع وزيدان ، ثم اتبعتم بهم معن الملك .. ومعكم ثلاثة أيام إما أن تتنازل الملكة عن الملك أو الحرب بيننا واعلموا أن معي عشرة آلاف خيال وورائي مثلهم .. والآن عودوا لملكتكم ، واسمعوا قولها الفصل .

وخرج الوفد وهم في ذهول وخوف ، ولما علمت عبلاء بظهور تاج اللوز خافت على العرش، وأرسلت وراء القاتل المأجور فاعترف بالحقيقة ، فأمرت بالخلاص منه ، واحتارت فيما تفعل ، فأشار عليها الفرسان بالتنازل عن العرش ، وندموا على خلعهم معنا ، فلو كان حيا وملكا ما استطاعت تاج اللوز أن تطالب بالعرش ، ولما رأت خور فرسانها ، وهم لا يحبون الحرب ، وليس لديهم همة للتضحية من أجلها، خلت بأخيها سالم قائد الجيش فأشار عليها بالتسليم والخضوع للملك سمعان ، وطلب الأمان لها ولأسرتها وقال أيضا : فالمقاومة لا تجدي ..وأرى الشعب بعد كل هذه السنوات ما زال يهتف بحياة تاج اللوز ، فأرسلت وفدا للملك سمعان بالموافقة على التسليم والخضوع لتاجه على أن تبقى في حمايته وحده ، ولا تتعرض لأذى من الملكة

تاج اللوز ، هي وأفراد أسرتها ومن تدخله في حمايتها ، فوافق الملك سمعان على مطالبها وقال : لها ذلك ، وخاطب زوجته قائلا : ها قد عاد إليك السرير الملكي أيتها الملكة .. وهؤلاء القوم أخذوا الأمان مني .

ودخلت الملكة تاج اللوز المدينة ، وقد خرج أهلها يرحبون بها ويحيونها ، ولما استقر ملكها على البلاد بلاد النعام أعلنت ابنها البكر ملكا على البلاد ، وبحثت عن أنصارها القدامى وأحاطت ابنها بهم ، ورتب الملك سمعان أمر جيش الملك غالب والحراس عليه وعين الملك ألف فارس من رجاله لحمايته والمحافظة عليه، وبعد سنة من الزمان كر الملك سمعان عائدا إلى بلاده وفي صحبته الملكة تاج اللوز

فلما وصل الملك سمعان لبلاد الهناء، كان في انتظاره مفاجأة ؛ فقبل شهور من عودته حدثت في البلاد فتنة أشعلها بعض أبناء عمه بينهم وبين أنصار الملك الذين يمثلهم القاضي ، وتمكن القاضي والمخلصون للعرش من إخماد الفتنة وقمع الطامعين ، فمنهم من هرب ومنهم من زج في أعماق السجون ، وقد تألم الملك لهذا الغدر ، وأما الأمر القاسي هو اختفاء الأمير أسامة ولم يظهر له أثر ، فلما جلس الملك على تخت الملك وسمع هذه الأخبار واطلع على التفصيلات ، قرر أن يؤسس لواء من الجند المماليك ، فأمر وزيره بهروان بشراء آلاف المماليك من بلاد الجآن ذوي قوة وصحة ، وذوي أعمار صغيرة ؛ ليقوم على تدريبهم ليكونوا حرسا خاصا للملك وأولاده ، وأرسل أحد الثقات إلى الغابة يبحث عن أسامة وحارسه سماء ، فسار الفارس نحو الغابة ومكث شهرا وعاد من غير أن يجد أحدا ، فتنكر الملك بزي آفاق وأخذ معه خادمه نديم وذهب حيث الغابة يبحث عن أسامة الصغير وبعدما يأس من العثور عليه في الغابة اجتازها إلى أقرب المدن يسأل هنا وهناك ، واقترب من مساكن صيادي الوحوش والطيور في الجبال والغابات ، وعندهم وجد حارسه سماء جريحا مريضا ، فقد طعن طعنة نجلاء كادت تعدمه الحيات ، فقال له الصياد الذي يعتني به : إنه مصاب منذ شهور .. لقد وجدته في الغابة الكبيرة في إحدى جولات الصيد، وكان مطعونا ولكن به حياة ، فأحضرته مع إخواني الصيادين إلى مسكني هذا،

وقام على علاجه أحد الأطباء ، أتينا به من المدينة ولم يتكلم منذ حضر بكلمة ، ولكني أدركت أن وراءه حكاية وأمر عظيم .. وأنت أول إنسان يسأل عنه .

فأثنى الملك على الصياد ورفاقه ومروءته وقال أيضا : جزاك الله خير الجزاء .. عندما وجدتموه مصروعا في الغابة ألم تجدوا مكان الحادث شيئا ثيابا ترشد على الجناة ؟

فقال الصياد : لا شيء وجدناه هناك .. ومن أنت أيها الرجل ؟

فقال الملك : أنا سيد هذا الرجل .. تعال نجلس بجواره لعله إذا رآني يعرفني وينطق بسره .

ودخلا إلى حجرة المريض سماء الذي كان مستيقظا ، فما كاد يرى سمعان حتى وضع يده على رأسه وهمس بصوت ضعيف : آه .. مولاي الملك هنا !

فلما سمع الصياد كلام المريض فاحتار هل يدهش من نطق المريض أم من وجود الملك في بيته ؟! فأخذ يتمتم باستغراب : الملك .. الملك .. الملك !

فقال الملك : الحمد لله على سلامتك يا سماء .. الحمد لله على حياتك .. اطمئن سوف أجد المجرمين الذين غدروا بك .. كيف ترى نفسك الآن ؟

قال وهو يشير للصياد : الحمد لله أني رأيتك يا مولاي .. كنت أخشى الموت بعد أن رأيت الحياة قبل رؤيتك .. أسامة ضاع .

فقال الملك : لا عليك يا صاحبي .. المهم الآن حياتك وإن كان أسامة حيا سأجده بإذن الملك العلام .. قل لنا ما الذي حصل معكم ؟

فقال الجريح : أيها السلطان الشجاع خشيت على أسامة الأمير من الفتنة وتذكرت نصيحتك فأسرعت وأخذت الأمير إلى الغابة وإلى الكهف الذي أرشدتني إليه، وأثناء سيري في الغابة شعرت بأني متبوع من أناس فصعدنا شجرة كبيرة ، واختفينا بين أغصانها وأوراقها يومين ، ولما نزلنا وبدأنا نسير على الأرض أدركنا ثلاثة رجال وطلبوا الغلام فقلت لهم : إنه ابن الملك سمعان فارس وملك هذه البلاد .

فرد أحدهم نحن لا يهمنا سمعان ولا أم سمعان .. دع الغلام وانج بحياتك فقلت لهم من

أنتم أيها الأبطال؟ فقال آخر بغرور لا تهتم بذلك ، فنحن من بلاد النعام لنا عند سيدك ثأر، وخطف مني الصبي وطعنني طعنة غادرة قوية في صدري فوقعت على الأرض ميتا ، لم استيقظ يا مولاي إلا عند أخي هذا الصياد وهو يفحص بي ، ولم استطع الكلام من ذاك اليوم حتى رأيتك وعرفتك

رغم تنكرك بثياب الرعاع ، فهذا ما جرى لي يا مولاي الملك .

فقال الملك بتفكير عميق : إذن عدونا في بلاد النعام .. صف لي الرجال يا سماء .

وصفهم الجريح ثم قال : كان أحدهم ينادي على قاتلي عندما خطف مني الغلام وطعنني بالخنجر تسرعت يا قرمان .

فقال الملك بعزم وتحد : سوف أضع القتلة بين يديك يا سماء بعون الله وحوله وقوته .. هل تستطيع الحركة لابد من العودة للبلاد للاعتناء بك قبل الرحيل لبلاد النعام ؟.

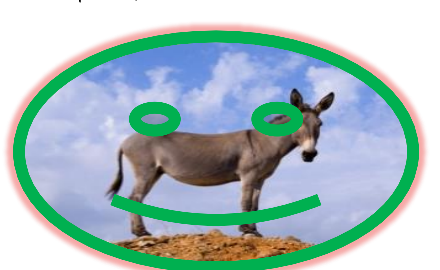
دفع الملك صرة من المال للصياد وعرفه على نفسه أكثر ، وطلب منه زيارته في قصره في بلاد الهناء وأخذوا في التجهيز للرحيل ، ثم مشوا للبلاد ووصلوها بسلام ، فأمر الملك طبيب القصر بالاهتمام بسماء وحياته ، وحدث الملك تاج اللوز عن قصة سماء والخاطف القاتل قرمان وأنه من بلاد النعام .

فأسرعت الملكة تتهم وتقول : إنها لعبة من عبلاء .. لقد كان قلبي يحس بذلك الغدر أيها الملك إنها أفعى رقطاء .. فالحرب بيني وبينها لم تنته بعد ، يا ويلها إن قتلت أسامة لأشربن من دمها!..

أما قرمان هذا لم أسمع به ، لابد أنه أحد أعوانها والقتلة الذين يعملون معها .

فقال الملك : أيتها الملكة سنغادر إلى بلاد النعام زائرين بحجة أنك راغبة بزيارة ولدك الملك الصغير ، وسأكون معك متنكرا بصورة فارس من جنود الملك ، وهناك لا أريد أن يعرف أحد بالغاية الحقيقية لعودتنا العاجلة ، إنما الغاية شوقك لولدك بعد فقدك لابنك الأصغر ، فهو الذي عجل بعودتك ، وللمحافظة على ابنك الباقي، وأنا ورجالي سنحاول الوصول والبحث عن المنحوس قرمان ..

ورتب الملك أمر البلاد مع القاضي ووزيره بهروان وقادة الجيش وولاة المدن ، وخلال هذه الفترة تحسنت حالة سماء البدنية، واسترد الكثير من العافية وأصبح مستطيعا وقادرا على ركوب الحصان أو الحمار، وتحرك الملك المتنكر والمتخفي والملكة بكوكبة من الفرسان والجواري في اتجاه بلاد النعام ، وبعد مسير طويل وبطيء وصلوا لبلاد النعام ، ولا يعلم من الفرسان المرافقين للملكة أن الملك سمعان معهم إلا القليل ، فقد كان متنكرا لحاجة في نفسه ، ولقد استقبل الملك غالب وأعيان البلاد الملكة تاج اللوز أحسن استقبال ، وفرحوا لعودتها إلى بلدها الأول ، وأنزلهم الملك في قصر الضيافة ، ولم يعلم أن والده معهم .



كان الملك يفكر بطريقة وحيلة يصل بها إلى قصر الملكة المخلوعة عبلاء بدون أن تعرفه فغير من شكله وقص الكثير من لحيته وشعره ، ولبس من ثياب الخدم والعامة ، وفعل مثله سماء ، وبعد تعرف على أحوال عبلاء الماكرة توصل إلى حيلة قد يصل بها إلى قصر الملكة عبلاء وقلبها .. كان سمعان جميل الصورة كما مر معنا آنفا ، فطلب من زوجته تاج اللوز أن تهبه غلاما لأم عبلاء فحلق لحيته وشاربه وتزيا بزي الغلمان غلمان القصور ، وصنعت الملكة حفلة بمناسبة رجوعها إلى مسقط رأسها بعد غياب طويل ، ودعت إليها سيدات العائلة وأثناء الحفلة قالت الملكة لامرأة عمها أم عبلاء : لقد علمت يا سيدتي أنه لم يبق عندك أحد يخدمك فأحب أن أكرمك ، فوهبت لك هذا الغلام الشاب يقوم على خدمتك في شيخوختك تعال يا ميس .

فتقدم ميس من الملكة فقالت له : لقد وهبتك لامرأة عمي .. فقم على خدمتها خير قيام وخاطبت المرأة قائلة : واذا لم يعجبك فسأستبدله بآخر .

فرحت الأم العجوز لهذا الغلام، وتقبلته بسعادة وفرح، ودعت للملكة بحرارة، فلقد ملّت من كثرة ما طلبت من أبنائها خادم يساعدها مع خادمتها الأخرى .

مر الأمر دون أن يحدث قلقا ومن غير أن يلفت الأنظار ؛ لأنه لا يتخيل أن يصبح الملك

سمعان عبدا رقيقا يخدم أم عبلاء ، وحتى عبلاء التي لم تحضر الحفلة لم تكترث للأمر ؛ لأنها مشغولة بالبحث وعقد الدسائس للوصول للتاج ثانية فهي ما زالت تبحث عن زوجها الهارب المختفي لعل عودته تغير الأحوال في البلاد، فهو الملك الشرعي والوارث الأول للملك شيبان النابغي ، ومضى شهر وسمعان خادم لأم عبلاء وأم سالم المنزوي في بيته منذ خلعه عن قيادة الجيش ، وقد كان ميس خلال الشهر يدفع الأم أن تطلب من ابنتها بأخذه وترسل لها خادمة صغيرة أو غلام صغير يقوم على رعايتها مع خادمتها العجوز، وتم ذلك بيسر وانتقل ميس للخدمة عند عبلاء ، وأصبح من ضمن خدمها ، وبدا لها أنه غلام نشيط وقوي ، ومع الأيام كان من غلمانها المقربين، وأصبح قريبا من اتصالاتها وخبايها وخفايها، ويستطيع أن يسمع همساتها لرجالها وحاشيتها ، وعلم بعضا من أفكارها وأحلامها ومساعيها من غير أن تشعر من ناحيته بريبة وشك ، وما هو إلا غلام يتنقل من سيد إلى سيد ، ولن يخطر ببالها أن هذا الغلام الذي يقفز أمامها بين الحين والآخر الملك سمعان ، وهي في هذا الحين لا تفكر بقتل الملك غالب أو تاج اللوز لتخشى من العيون ، كان همها الأول البحث عن زوجها الطريد معن ، فترسل العيارين هنا وهناك ، وتوصي التجار الراحلين المتنقلين بين المدن بالبحث والسؤال عنه ، وكذلك الرواة والشعار إلى أن كانت ليلة ذات برد شديد أخبرها الغلام ميس أن رجلا متنكرا يريد رؤيتها والاجتماع بها يدعى نعيما .

فأمرت الأميرة بإدخاله خفية من غير أن يشعر به أحد ، والتقت به في إحدى الحجرات ، ثم صرفته بعدما أعطته صرتين من المال في كل منهما خمسمائة قطعة، وسمعها تقول له وهي تودعه : حافظوا عليه حفظا تاما .. فأمه تعتقد أنه ميت .

بالتأكيد أدرك الملك سمعان أنها تتحدث عن ولده ، ففرح وسر لبقاء ولده على قيد الحياة ، وفكر بأن يلحق بنعيم هذا ليعرف المكان المختفي فيه فلذة كبده ؛ ولكنه قال لنفسه : الآن اطمئن قلبي على ولدي ، وأنه ما زال حيا .. صبرا أيها الفتى .. ما الذي تبغيه هذه المرأة من خطفه وإخفاءه ولسوف أعرف بإذن من خلق السماء والأرض ؟! .

كلما مضى يوم ارتفعت ثقة عبلاء بغلامها ميس الشاب النشيط ، فأصبحت تثق في إخلاصه لها أكثر ، فكانت ترسله في مراسلات خارج قصرها للاتصال باخوتها وأتباعها، وذات ليلة طلبت منه أن يحضر لها أخاها سالما خفية عن الأنظار، فجاء به خفية ، وعندما اجتمعا لم يفته من حديثهم كلمة ، وكان اجتماعا عجيبا ، فقد حضر اللقاء السري رجل آخر كان يقول لهم : لم نستطع إشعال الفتنة في بلاد الهناء رغم ما بذلناه من أموال .. والعجب أيها السادة أن الملك سمعان له زمن مفقود، ويقال أنه ذهب يبحث عن ابنه أسامة بعدما وجدوا حارسه حيا وأحضره الملك للقصر وقام على علاجه ثم اختفيا .

فقالت الأميرة بخوف وقلق : ولكني علمت من قرمان أن هذا الحارس انتقل للعالم الآخر .

فأجابها الرجل: يبدو أن الطعنة لم تكن مميته .. المهم أنني علمت أن الملك عالجه وسمح لتاج اللوز بالمسير إلى ولدها الآخر، واختفى هو وخادمه للبحث عن ولده؛ فلذلك لم نتمكن من الفتك بالملك سمعان، وطال انتظار عودته فقررت أن أعود وأضع بين يديك هذه الأخبار .

كان الملك سمعان ميس يسمع هذا التقرير وهو في غاية الدهشة لجسارة هذه المرأة وقسوة قلبها وسيطرتها على هؤلاء الاتباع ثم سمع الرجل يقول : ما العمل يا مولاتي الملكة ؟

لم ترد فورا بل لبثت تفكر في الأمر برهة ثم قالت : لا بأس عليكم أيها الفرسان .. سأدفع لكم مالا كثيرا ، وعليكم أن تعودوا لبلاد الهناء ومتابعة المهمة السرية، فلابد أن يعود هذا الملك اللعين إلى ملكه ؛ فإذا قتلناه ستحدث بلبلة وارتباك في بلده وبلدنا .. ونحن ما زلنا نبحث عن الملك الشرعي معن ووصلتني بعض الأخبار أنه حي ويسكن في مدينة بعيدة ، يعيش أسيرا عبدا عند أحد الإقطاعيين في مدينة الصعد ، فأرسلت ابني حسنا وأخي مهران وقرمان لتحريره من العبودية .. فاطمئنوا فنحن ما زلنا نعمل ، ولن نكف عن تحرير بلادنا من هؤلاء الأوغاد .. فإذا قتلتم سمعان اضطربت البلاد عندهم وعندنا ، ولابد أن يعود التاج ليستقر فوق رأسي ، ثم رأس أخي سالم القائد الفاشل الذي لم يستطع أن يدافع عن مملكتنا أمام هؤلاء الغزاة .

فأخذ الأمير سالم يدافع عن نفسه ، ويبين ضعف الجنود والفرسان، وانشغالهم بمصالحهم

الفردية ، وعدم رغبتهم في القتال والموت من أجلنا ، فلما انتهى من كلامه أمرته عبلاء بأن يعطى مالا كثيرا للرجل ليستمروا في المهمة الكبيرة التي كلفتهم بها الأميرة ، ثم تسللوا متفرقين، وكان ميس قد تظاهر بالنوم عندما خرجوا من حجرة اللقاء ، ولم يظهر عند خروجهم لأن سيدته أمرته بالذهاب إلى النوم عند بداية الاجتماع ، وكان يتعجب الملك من قدرات هذه المرأة على تحريك هؤلاء المغامرين هنا وهناك ، وأرسل رسالة لتاج اللوز بشرها بحياة أسامة وما اطلع عليه من معلومات ، وطلب منها أن ترسل رجالا يترصدون هؤلاء القتلة في بلاد الهناء وحبسهم حتى ينتهي رقه وعبوديته .



كان الملك معن لما طرد وخلع عن كرسيه بذل وهوان وندم بعد فوات الأوان، فهرب من المدينة ومشى أياما وأياما حتى وقع في أيدي لصوص فاسترقوه وباعوه في سوق النخاسين بدراهم معدودة ، وتنقل من يد تاجر لأخر حتى وصل لرجل إقطاعي من بلاد الصعد ، فهو يعمل في أرضه وجناته ويرعى شؤون الدواب والخيل مع عدد كبير من الرقيق ، وحاول مرة الهرب فتعرض للأذى الشديد ، وحرم أياما من الطعام حتى ندم على محاولة الهرب ، وقبل يدي صاحب الأرض حتى رق قلبه له وعفى عنه ، وكان يحدثهم في كل مجلس يجلسون فيه بأنه ملك يحكم البلاد والعباد ، فيسخرون منه ويظنون به الظنون من البله والجنون ، وأصبحوا يتندرون بحكايته حتى وصلت هذه النوادر لرجال الملكة عبلاء ، فأرسلت ابنها حسنا وأخاها مهران وسفاحها قرمان وبعض الفرسان لإحضاره فمشوا متخفين إلى بلاد الصعد حتى استطاعوا أن يلتقوا به ، فلما شاهدوه بالذل والهوان بكوا أشد البكاء، وأسفوا على عقوقهم وجريمتهم في حقه ، ثم حرروه من صاحب الأرض، وعادوا به إلى بلاد النعام وهو في حال

صعبة ، يرثي عليه كل من رآه وسمع حكايته في الرق والعبودية ، فأمرت الأميرة بالاهتمام به والعناية به حتى عادت له الصحة يوما بعد يوم ، وقامت بالاعتذار له والندم والأسف حتى قنع

بأسفها ، ولما استعاد حيويته بعض الشيء أعلمته بعودة تاج اللوز للمملكة وهي الآمرة الناهية وأن عليه أن يظهر أمام الناس مطالبا بعرشه وملكه ، ولما وافق بعد رفض شديد وتهيأ الأمر طلبت من حسن وأخيه الكبير صعب أن يذهبوا به للسلام على أخته ، ثم يطالبها باسترداد العرش ، وكان ميس قد تابع كل هذه الأفعال ، واعلم تاج اللوز بها أولا بأول ، فلما دخل على الملك الصغير في ديوانه ، رحبت به أخته أحر ترحيب وحاول تقبيل قدميها اعتذارا فقبلت عذره وأمرت له بـقصر يقضي فيه بقية عمره ، فذكر لها حاجته بأنه الملك الحقيقي والشرعي للبلاد فقالت له أمام السادة : لقد علمنا أنك خلعت نفسك يا أبا صعب للملكة عبلاء التي تنازلت بدورها لولدي غالب حفيد الملك شيبان فلم يـعد لك حق تطالب به .

وأكد القاضي والقضاة خبر خلعه نـفسه وعدم صلاحيته للحكم ، وحاول مرة أخرى إثارة ولايته ، فأمر الملك غالب بحبسه في قصر وإبعاد زوجته وأهله عنه ، ووضع عليه حراسة من فرسان بلاد الهناء ، ومكث أياما ثم قضى نحبه ولم يكترث أحد لموته حتى ولا تاج اللوز .

أمام هذا الفشل قررت الأميرة عبلاء أن تثير القلائل في البلاد ، فأمرت رجالها باغتيال أحد القضاة ؛ ولكن ميس أفشل الأمر ، وتم القبض على الجناة فأودعوا السجن ، ومرة أخرى حاولت قتل أحد الفرسان الألف ـ فرسان بلاد الهناء ـ وتم القبض على الفاعلين قبل وقوع الجريمة ، ومرة ثالثة أمرت بقتل قائد الحرس القديم فنجا أيضا ، فعجبت عبلاء لفشل رجالها وبالطبع كان الجناة لا يعلمون من يسيرهم إنما هم قتلة يقبضون أموالا مقابل أفعالهم الشنيعة ، ولكن في المرة الأخيرة أمر القاضي بمثولها بين يديه ، وذكر لها أن أحد القتلة يتهمها بالتحريض فأنكرت ، ولم يستطع القاضي إثبات التهم عليها واشتراكها فيها ، فأدركت أن الشكوك تحوم حولها فعادت للهدوء ، وأصبح تفكيرها حينئذ محصورا بقتل تاج اللوز لتشفي غليلها بموتها وبينما الأميرة عبلاء في ضيق وشدة لفشل رجالها وأنصارها بإثارة الفتنة في البلاد أتاها نعيم فادخله ميس سرا عليها ، وعلم أن ولده مريض وهم يخشون عليه الموت فجاء يسألها المشورة فلما علمت ذلك توترت وخشيت على الصبي، فأمرته أن ينصرف إلى بيت سالم وغدا سترسل

له الأوامر ، وفي الصباح أرسلت ميسا يستدعي طبيبها أيام ملكها للبلاد ، ولما التقت به أغرته بالمال الكثير ليرافق نعيم لمعالجة أسامة ، فلما وافق أرسلت ميسا لقصر الأمير سالم للمجيء بنعيم ، وكان ميس قد أمر سماء وبعض الفرسان أن يستعدوا لمطاردة نعيم ، وكانت المفاجأة أن الأميرة كلفت ميسا بمرافقتهم ليعود بالطبيب ، فقادهم نعيم إلى خان في طرف المدينة واكترى لهم بغلتين ، وانطلق بهم نحو الجبال والغابات يقودهم إلى المكان المخفى فيه أسامة ، وبعد مسير استمر يومين ، وفي كهف عملاق في أحد الجبال كان الأمير المخطوف يرقد على سرير الشفاء وحوله عشرة رجال ، فلما وصلوا سمع ميس أحد الرجال يقول : لقد تأخرت يا قرمان وقد ذهب بنا الظن هنا وهناك .

فرد قرمان : لا .. الأميرة أخرتني يوما أيها الفرسان ، وقد أرسلت معي طبيبها القديم وخادمها ميس ليعود بالطبيب .

اقترب الطبيب من المريض فإذا هو فتى صغير فقال له : من أنت أيها الفتى ؟

فوضع قرمان يده على فم المريض وقال للطبيب : سيدي الطبيب عالجه فقط ، ولا تتكلم معه أرجوك .

نظر إليهم الطبيب بدهشة وهز كتفيه وقال : حسنا أيها الأبطال .

وأخذ يفحص الغلام وهو يحدق النظر فيه بتعجب ويقول في نفسه : من يكون هذا الغلام الجميل؟!هل هو ابن لها ؟ ولكن زوجها هرب منذ سنوات ولماذا يخفونه في هذه الجبال ؟!.. أرى هؤلاء الرجال كأنهم مجرمون .

ولما فحصه وعرف وجعه أخذ يصف لهم الدواء المناسب من الأعشاب البرية ، وكان ميس يقف في مدخل الكهف وهو يتوعد عبلاء بالهلاك والعقاب ويقول : ويلك يا امرأة إن قضى ولدي نحبه لأحرقنك حرقا أنت وعشيرتك وأنصارك كلهم .

ولما انتهى الطبيب من تحضير الدواء قال لقرمان أو نعيم : أيها السيد سأعود لبلاد النعام .. وإذا لم يتحسن هذا الصبي خلال سبع ليال انزل به المدينة ولا تتأخر إذا كانت تهمك حياته ولسوف

اركب له علاجا قويا .

فقال قرمان بغرور : حسنا يا طبيب .. وأحذر أن يعلم أحد من خلق الله أنك أتيت لهذا المكان حتى لا تخسر حياتك .. لا أدري لماذا أرسلتك الأميرة ؟! .

فصاح الطبيب بغضب : ويحك هذا الغلام في خطر شديد أرجو أن يجتاز هذه الحمى على خير لقد أحسنت الأميرة ببعثي معكم .

في أثناء المعالجة كان سمعان الملك التقى بسماء والفرسان الثلاثة وشرح لهم خطة وهي أن يعودوا للملكة تاج اللوز، ويحضروا سرية من الفرسان وعربة لنـقل الأمير أسامة وإخفائه لحين ساعة الانتقام ، ولم يشعر الرجال باختفاء ميس ظنا منهم بأنه انطلق لقضاء حاجته ، ولما رجع كان الطبيب يستعد للعودة فركب كل منهما بغلته ، وقفلوا نحو بلادهم عائدين، وأثناء الطريق كان الطبيب يقول لميس : من هذا الفتى الصغير أيها الخادم الأمين ؟.

فيرد عليه الخادم الأمين قائلا : دعك من هذا أيها الطبيب .. ولا تشغل نفسك بمعرفة المزيد ، فأنت تعرف قسوة قلب مولاتي الأميرة ألم تطلعك على أمره ؟!

فقال الطبيب : لا ..لا .. ولكنها رجتني رجاء حارا أن اذهب مع المدعو نعيم ذاك لأعالج مريضا يهمها أمره وحياته كما قالت .

فقال ميس بقلق : وهل من خطر عليه أيها الطبيب البارع ؟

فرد الطبيب البارع : الحق أن أمره صعب.. وأرجو بما قدمت له من علاج أن تخف آلامه بمشيئة الله ، وإن اجتاز الأيام السبعة وهو على قيد الحياة أرجو أن يشفى تماما بإذن الله .. وعلى سيدتك أن تنـزله المدينة ليسترد الصحة بشكل أفضل ، فهؤلاء وحوش لا يحسنون العناية بمريض ، وكلهم يريد موته لولا خوفهم من بطش الأميرة بهم .

فقال ميس : أرجو عافيته ورضا الأميرة بعودته للبلاد .

ثم قال لنفسه : آه يا ولدي! اصبر بضعة أيام فقط وسوف تعود لحضن والديك .

أخبر وأطلع الطبيب الأميرة على ما قام به ، ونصحها بإحضاره ليقوم على رعايته إذا كان يهمها

أمره ، فشكرته الأميرة على جهده ، وقد حاول أن يعرف منها سر الغلام فقالت : سوف تعرف أمره فيما بعد يا عزيزي الطبيب .. وأرجوك أن تنسى كل شيء رأيته وسمعته .

فوعدها بكتمان ما سمع وما رأى ، وكان سماء قد اطلع تاج اللوز على رحلتهم ووصولهم لأسامة ، فقررت أن تذهب بنفسها مع السرية لتنفيذ خطة سمعان ، فأشيع أن الأميرة تريد زيارة زوجها سمعان ببلاد الهناء ، فخرجت ومعها سرية الفرسان، ولما ابتعد الفرسان عن جهة بلاد الهناء تحركوا حيث الجبال المختفي في أسامة ، ولما اقتربوا من المكان ـ وهم يسيرون بحذر ـ وضعوا كمينا محكما لصيد الرجال العشرة ورئيسهم قرمان ، وكان للمفاجأة دورها في تلك الوديان والجبال ، وحوصر الكهف في عز النهار وسقط كل من فيه بأيدي الفرسان وكبلوا بالحبال والقيود ، ولكن قرمان وآخر لم يكونوا فيه أثناء الهجوم فقد ذهبا لإحدى المدن لجلب الطعام ، وفكروا بانتظارهم ولكن حاجة الأمير للعلاج والرعاية وخوفهم عليه فقرروا العودة للبلاد بعجلة ، ولما عاد قرمان بعد يوم من الغياب صعق عندما وجد الكهف خاليا ولم يجد الأسير ولا الرجال ، فوقع في نفسه أن عصابة من عصابات الجبال قد أوقعتهم وأخذوهم أرقاء فانطلق وصاحبه يبحثون هنا وهناك ولكن كثرة آثار الخيل غمت عليهم ، ولم تساعدهم في التحري والبحث فلم يجدوا شيئا ، فوقع في نفسه أن الأميرة ربما أرسلت إليهم ، فاتفقا على الرحيل لبلاد النعام ومعرفة الأمر واطلاع الأميرة على جلية الحادث ، ولما دخل المدينة وتحرى علم أن الأميرة لم ترسل أحدا للجبل ، ولا لها علم بما جرى لرجاله ، فصمم أن يخبرها فالتقى بها وحدثها باختفاء الأمير والفرسان التسعة ، فصعقت الأميرة للخبر وصفعته على وجهه صفعة اطارت الشرر من عينيه ، وأخذت تشتمه وتحقره ، فقد فقدت أعصابها ، وهمّ هو الآخر بقتلها بأن يضع خنجره في صدرها ؛ ولكنه كان يهابها ويخافها ويعلم شدة مكرها فعاد يتذلل لها : سيدتي الملكة أنا خادمك المخلص ذهبت لجلب المزيد من الطعام للرجال كالعادة فلا تغضبي عليّ .. ولا تدعيني أغضب عليك سأبحث عنه في كل الدنيا جبالها ومدنها .. سأحضره لك يا سيدتي .

فقالت بحدة : ألم تجد من رجالك جريحا قتيلا ؟!.. ألم تحدث معركة؟!

فقال بدهشة : العجيب أنني لم أجد أثر معركة وقتال .. ولا دماء .

فقالت : أيعقل أن يكون قد وصل إليكم الملك سمعان ؟! فهو قد ترك بلاده للبحث عن ولده كما اخبرني رجالنا الذين ذهبوا لهناك .

فأخذ قرمان يردد أمامها الكلام الناعم ، ويعدها بالبحث عنه وقلب الأرض للوصول إليه حتى هدأت الأميرة وعاد إليه سكونها من جديد وقالت : أنا آسفة يا قرمان ! لقد اطار الغضب صوابي .. لقد أذهب الفشل ما بقي لدي من دماغ .. آه .. لقد انتصرت عليّ تاج اللوز.. هزمتني تلك الملكة المغرورة .. علمت أنها غادرت لزيارة زوجها .. وبعد غياب بضعة أيام رجعت تقول : إنها رأت حلما أثناء الطريق فخافت على ولدها فعادت هي ومرافقوها .. حتى رجالي في بلاد الهناء لم يأتني خبر عنهم فهل قتلوا سمعان ؟ .. وها هو الأمير الصغير ضاع واختفى .. وقد كان الورقة الأخيرة بيدي لأحمي نفسي من بطش أعدائي يا قرمان .. وعادت تصرخ من القهر والغل : يجب أن تجده .. ابحث عنه في كل مكان في كل المدن والجبال .. لا تعد أيها البطل إلا بخبره اليقين .. والآن اغرب عني دعني أبكي على فشلي وخيبتي .. آه !.. لقد حاولت أن أجعل من أسرتي أسرة عز ومجد وحكم .. لكن آبائي جبناء واخوتي ضعفاء ..لا همة عندهم للمجد والعلا والسيادة يا ليتني صبرت على حكم معن وظللت ملكة تحكم وترسم .. إن نساء المدينة يخشين زيارتي ودعواتي.. وكذلك يتجنبن دعوتي لحفلاتهن يا قرمان .. عليك بالبحث الجاد عنه، ولك كل ما تشتهي عندي ولا ترني وجهك إلا ومعك خبره أيها المنحوس .

وبعد أيام ثلاثة أتاها قرمان وأخبرها أن الذي أنقض أسامة أمه الملكة تاج اللوز ، وهو يعالج الآن في قصرها ، فشكت في الطبيب ، فقال قرمان : إنهم لا يثقون في الطبيب ، ولم يخرج من المدينة إلا يوم أخرجناه نحن .

فاحتاروا بمعرفة كيف وصلت تاج اللوز للأمير أسامة في تلك الجبال والوديان؟! فأمرته أن يجهز فرسا في الخان للهرب من المدينة قبل شفاء الأمير الصغير ، وفي غفلة من خدمها وجواريها

هربت الأميرة من بلاد النعام برفقة فارسها قرمان ، ولما اكتشف ميس هربها لانشغاله بولده المريض، وعلم من إحدى جواريها أنها هربت للشمال شمال البلاد ، فهجر القصر واسترد حريته

بعدما اجتازت الأميرة الهاربة عبلاء بلاد النعام كلها هي وفارسها قرمان ، وبينما هما في بلاد العبيد والسودان هجم عليهم مجموعة منهم وأخذوهم لملكهم همام الذي أمر بحبسهما بضعة أيام ، ولما حضروا بين يديه اتهمهم بقتل أحد السودان، فأنكر قرمان وقال: يا سيدي الحاكم نحن عابرو سبيل .. ولا نعرف المقتول وقبض علينا رجالك شبهة .

فقال الحاكم : من أي البلاد أنتم ؟

فقال قرمان : نحن يا سيدي من بلاد النعام ، بلاد الملك غالب بن الملك سمعان ملك بلاد الهناء في هذا الزمان .

فالتفت الملك السوداني لرئيس حرسه وقال : ما تقول أيها الأمير بهم ؟

فقال رئيس الحرس : لم نجد أغرابا في المدينة يا مولاي سواهما .. والشهود ذكروا أن القتلة من الأغراب البيض وليس من السودان .

فقال قرمان : يا مولاي الحاكم .. هذه امرأة ـ وأشار لعبلاء ـ وإنها الملكة السابقة لبلاد النعام زوجة الملك معن بن شيبان .

فقال ملك السودان : وأين زوجك عنك ؟

فقالت : قد مات منذ زمن يا ملك الزمان .

فضحك ملك السودان ثم قال : يا رئيس الحرس ابحث عن القاتل .. واعلمي أيتها البيضاء أنني سأتخذك زوجة لي .. فما زال يرتسم على وجهك بعض الجمال .. لعل الله يهبني منك ولدا أبيض يكون ملكا على السودان في قادم الأيام .

وأمر بعض اتباعه بأخذ المرأة إلى حجرات النساء ليصلحن من شأنها وتجهيزها للزواج منه ،

وأمر آخرين بحبس قرمان حتى يظهر القاتل الحقيقي .

فصاحت الأميرة : يا ملك الزمان أتقهرني على الزواج منك وأنت تعلم من أنا ؟ .. أنا الملكة عبلاء ملكة بلاد النعام .

فقابل صراخها بصراخ وقال : أنت هنا جارية .. أمة .. يكفي أنني عفوت عنك وعن هذا الرجل.. ولم نقتلكم بصاحبنا.. ومن أدرانا أنك ملكة وزوجة ملك ؟ .

فصرخت وولولت قائلة : نحن لم نقتله .. رجالك قتلوه واتهمونا بقتله لسوء حظنا .

فعاد هو الآخر يصرخ ويقول: مهما صرخت وولولت أنت أسيرتي وستصبحين لي حليلة رغم أنفك .. وملكة على بلاد السودان أيكفيك هذا ؟!.

فهدأت وقالت : أليس للمرأة عندك صداق .. أم قهرا واغتصابا ؟.

فرد عليها : بعد النكاح وإنجاب الولد نعطيك مهرك .

فقالت : أقتل نفسي قبل أن تصل اليّ .

فقال : ويلك يا امرأة بدأت أصدق أنك ملكة! .. ما المهر الذي تبغينه ؟

فقالت بحقدها المعهود : مهري أيها الملك الأسود .. هو قتل الملكة تاج اللوز ملكة بلاد النعام فإن فعلت ذلك سأكون لك الخادمة المخلصة الجارية التي تحبك إلى آخر يوم من دنياي .

فقهقه الملك الأسود وقال ضاحكا ومستهترا : ابشري بهذا المهر .. سأكلف بضعة من السودان بقتلها من أجل عينيك الساحرتين ، ورفع صوته ثانية بالضحك والقهقهة وسمعها تقول : لن تتزوجني قبل أن أرى رأسها يتدحرج أمامي.. وإن أجبرتني على الزواج منك قبل ذلك ستجدني جثة هامدة .

فقطع ضحكه وقال : إنك قوية وعنيدة وشرسة لكني وقعت في هواك .. سأنفذ رغبتك خذوها إلى قصر النساء حتى نجلب لها المهر .. وحذار أن تحاولي الفرار فالموت ينتظرك .

فقالت : لن اهرب أيها الملك .. وتأكد أنك إذا انتقمت لي من تاج اللوز ملكة بلاد النعام سأكون لك الجارية الخادمة المطيعة .

وجهز ملك السودان أربعة من السودان ذوي الحيلة والذكاء، ورافقهم قرمان لبلاد النعام للفتك بالملكة تاج اللوز مهرا لعبلاء ، دخلوا المدينة متخفين وبسلام، وفي فندق من فنادقها نزلوا ومشى قرمان لقصر الأميرة عبلاء ، واجتمع بجاريتها الخاصة ووجد الغلام ميسا عندها ، وعلم منهم أنهم يبحثون عن الأميرة الهاربة ، وكشف قرمان لميس الأمر كله معتقدا أنه من المخلصين للأميرة ، غادر ميس القصر بعد انصراف قرمان الذي ما زال يتردد على قصر الأميرة بين الحين والحين ليصل إليها أو تعود فجأة ، وقد صح ما توقعه ، وأرسل الفرسان للقبض على قرمان والسودان الأربعة، داهم فرسان الملك غالب الفندق وأسروا الرجال الأربعة وقرمان ، وبعد التحقيق والتدقيق أرسلت الملكة تاج اللوز وراء ابن عمها سالم وأبناء أخيها حسن وصعب وأخبرتهم بمكان أمهم ، وأرسلتهم برفقة أحد السودان للمجيء بها قبل أن يتزوجها ملك السودان ، ولما علم ملك السودان بانكشاف أمره ووقوع رجاله بالأسر غضب غضبا شديدا على الأميرة ، وأمر بسجن أولادها وأخيها ، وأرسل رسالة للملكة تاج اللوز يأمرها بإطلاق سراح الأسرى قبل أن يقتل رسلها إليه ، ولما علمت عبلاء بفشل رجال ملك السودان بالفتك بغريمتها، وحبسه لأبنائها وأخيها سالم صعب عليها الأمر ، وحقدت حقدا قويا قاتلا على ملك السودان، وعرضت عليه غزو بلاد النعام لتحرير الأسرى وأسر تاج اللوز ، فوافق على ذلك الغزو على شرط أن يكون ذلك بعد زواجه منها بعام ، فرضيت الأميرة ، وتزوجت من ملك السودان ، وعفا عن ولديها وأخيها سالم بمناسبة النكاح ، وعادت رسله للملكة تاج اللوز يخبرونه بأن الملكة ستجهز جيشا لغزو بلاد السودان إن لم يعد الأمراء والأميرة لبلاد النعام ، فسخر من ذلك وأعلن النفير العام ، وقد غضب الأمراء من زواج أمهم من ملك السودان ، وعنفوها أشد التعنيف على فعلتها تلك حتى خافت أن يفتكوا بها فقالت : إنني اكره تاج اللوز كرها يكاد أن يفجر قلبي .. وأريدها أن تموت ولو تزوجت الشيطان نفسه من أجل القضاء والانتقام منها .

فقال حسن بحدة : كفاك حقدا يا أماه! .. كفاك حقدا يا أماه! لقد دمرت حياتنا بأحقادك ،

التاج ليس لنا، لقد فقدناه بسبب غرورك وكبريائك وحقدك ، ونحن الآن أصبحنا عبيدا عند هذا العبد الحقير، لقد كرهنا الحكم والملك .. وسوف أدور في الدنيا واهجر هذه المدينة ولن أبـقى في بلاد النعام .

فقالت : وأنا لقد ضحيت بنفسي وراحتي من أجل أن تصير ملكا يا حسن .

فقال بسخرية : ملك مغموس بالدماء .. لا أريد هذا الملك .. لقد فرطنا في أبينا من قبل من أجل هذه الملك ، وكدنا نقتل أعمامنا من أجل هذا الملك ، وها أنت أصبحت جارية عند هذا العبد من أجل ملك لن يصل إليك .. وداعا يا أماه وداعا يا أخي صعب وداعا يا خالي .

وخرج حسن هائما على وجهه في هذه الدنيا ، وأما صعب وسالم فقد بينا لها رغبتهما بالعودة إلى أولادهم وزوجاتهم في بلاد النعام ، وحاولت منعهما وفشلت فتدخل ملك السودان في شأنهما وغضب عليهما وأمر بحبسهما ، فقال صعب لخاله : هذا ليس غريبا على أمي.. لقد تخلت عن أبينا من أجل أحلامها في الملك، وتزوجت هذا اللئيم من أجل كرهها وحقدها لتاج اللوز مع أنها ملكة عادلة محبوبة من الرعية وجنودها .

واستطاعا بالمال رشوة حرس السجن، وهربا في جنح الظلام إلى بلاد النعام، ودخلاها بسلام ودخلا على الملكة أم أسامة واطلعاها على خبرهما وزواج الأميرة من ملك السودان ، واستعدادهم لغزو بلاد النعام ، وهجر حسن لها غضبا وحزنا ، وقد ساح في الأرض ، فأكرمتهما تاج اللوز ومنحتهما المال والضياع .



نسير مع حسن الذي ترك أمه وأخاه وخاله وهام على وجهه في البلاد ، واستمر في سفره وترحاله من قطر إلى قطر حتى نزل إلى جزيرة البحر ، وارتاح فيها ، وقرر الاستقرار فيها وقضاء دنياه فيها ، وبعد زمن يسير اشتغل عند أحد التجار الكبار ، واظهر نشاطا وهمة وحيوية في العمل ، فسر به صاحب المتجر وأكرمه

غاية الإكرام ، ثم بعد حين أخذ يسمح له بزيارته في البيت ومشاركته في السهر مع ضيوفه والتعرف عليهم ، وذات ليلة وبينما هو وصاحب المتجر التاجر رضوان سائران لزيارة أحد الأصدقاء فتحت لهما الباب صبية جميلة ، فلما وقع نظر حسن عليها هام بها عشقا وهوى ، وسأل رضوان عنها ، فأخبره أنها ابنة صديقه زيدان فقال له حسن الولهان : ألا يزوجني بها صاحبك زيدان ؟ .

فقال التاجر رضوان باسما : أراك وقعت في هواها من أول مشاهدة يا ولدي ؟!

فقال حسن معترفا : إي والله! لأول مرة تهوى نفسي النساء أيها الأب الكريم .. تحرك قلبي نحوها .

فقال التاجر : أمهلني أياما ولسوف أكلم والدها .. فهو رجل غريب عن هذه الجزيرة مثلك .

ولم يطل انتظار حسن ، فقد اخبره رضوان بعد أيام قليلة أن والد الفتاة أبدى اهتماما بالأمر ، ودهش كثيرا عندما علم أنه من بلاد النعام ، ويريد أن يقابله ويراه الليلة ، فهو يعرف تلك البلاد منذ زمن بعيد ، وفي الليل انطلق حسن لبيت التاجر زيدان وقد لبس أجمل ثيابه، ووضع على بدنه أفضل الطيب، وبعد الاستقبال والطعام قال زيدان : أعلمني رضوان بغايتك، ولا أرى فيك ما يعيب والذي أدهشني أنك من بلاد النعام ، فحدثني عنها ما أخبارها .. فأنا مهاجر قديم من بلاد النعام وكذلك أخي .

فقال حسن : أنتم من بلاد النعام .. هذا أمر غريب يا سيدي !

فقال زيدان أبو أحمد : ما حكايتك وما الذي أتى بك إلى هذه البلاد ؟!

فقال حسن وقد خفق فؤاده كثيرا : أكلمك عن نفسي على أن تحدثني عن نفسك .

فقال زيدان : لا بأس يا ولدي .. سأكلمك عن بلدي .

فقال حسن : يا سيدي أصدقك القول .. أنا اسمي حسن واسم أبي معن.. وقد كان ملكا للتلك البلاد .

جفل زيدان وقال وهو ينهض : انتظر أيها الشاب لسوف أرسل لأخي ربيع ليسمع حكايتك

معي .. وسوف تذهب عنك الدهشة بعد قليل .. فنحن أهل وأقارب ..فأنا عمك الهارب من بطش أمك .

قال حسن : أدركت هذا عندما اخبرت أنك من بلاد النعام .

وأرسل وراء أخيه الذي أتى على الفور وبعد أن هدأت النفوس قال زيدان : تكلم يا حسن قل لنا ما حكايتك؟!

فقال حسن : كما قلت لك يا سيدي قبل قليل ، أنا الأمير حسن بن الملك معن بن الملك شيبان النابغي .. كنت صغيرا عندما كان أبي ملكا على بلاد النعام ، ثم هرب أبي بعدما غضبت عليه أمي ، وخلعوه عن العرش ، ثم غزت بلادنا جيوش بقيادة الملكة تاج اللوز ـ وهي عمتي ـ وتنازلت أمي الملكة عبلاء عن العرش لابن الملكة تاج اللوز الملك غالب بن الملك سمعان ، وهو مليك البلاد هذه الأيام ، وقامت أمي الحقودة والمتكبرة بإثارة الفتن في البلاد ، ولكن أمرها ومكرها فشل ، فهجرت البلاد هاربة تبحث عن نصير.. تريد أن تفعل كما فعلت الأميرة تاج اللوز ، فوقعت في يد ملك السودان أسيرة ، وعلمنا بذلك فأرسلتني الملكة تاج اللوز وأخي الأكبر صعبا وخالي سالما لفك أسرها ، فتزوجت ملك السودان على أمل أن يقتل لها غريمتها تاج اللوز ، فلما رأيت ذلك الهوان والحقد صممت على عدم العودة لبلاد النعام ، وتركت أمي وخرجت هائما في الدنيا على وجهي باحثا عن الراحة ، فجاء بي القدر إلى هذه الجزيرة الجميلة، وقبل أيام كنت وصاحب المتجر المعلم رضوان في زيارتكم ففتحت لنا الباب صبية جميلة، وقعت من نفسي موقعا حسنا، فرغبت بالزواج منها، وعرضت الأمر على المعلم رضوان، وكلمكم في ذلك .. وهذه حكايتي معكم ومع بلاد النعام

فقام الرجلان بتعريف حسن على نفسيهما من جديد ، وتعانق الرجال وتباكوا ، وقال أحدهما : أنت حسن الصغير ابن أخينا معن! .. لقد كنت طفلا صغيرا أيام بداية مشاكلنا مع أمك وأبيك والحق على أبيك الضعيف .. لقد كان ضعيفا أمام أمك ونزواتها وطموحها .. والحق أن أمك كانت عنيفة وحقودة مع أننا أهل وأقارب .

وقصوا عليه حالهم ومطاردتهم من قبل أنصار أمه ، وحبسهم في البلاد بعدما سلمهم الملك عدنان لما رفضت تاج اللوز الزواج منه ، ثم هربوا من السجن بمساعدة بعض المخلصين من رجال الملك شيبان ، وتنقلا بين المدن والقرى حتى وصلوا لهذه الجزيرة واستقروا فيها منذ ما يقارب العشرين سنة ، ولما فصل لهم حسن قصة تاج اللوز، وكيف عادت للبلاد بعدما تزوجت من الملك سمعان الذي أحبها وأنجبت منه أميرين الملك غالب ، الملك على بلاد النعام والأمير أسامة الذي سيصبح ملكا على بلاد الهناء ، ففرح الأخوان لسماع هذه الأخبار الحسنة، ولتملك تاج اللوز لبلادهم ، وفي نهاية الليل قال زيدان : رغم الجروح التي صنعتها أمك وأخي معن ابشر سأزوجك من الأميرة مي إذا رضيت هي بك بعدما تسمع لحكايتنا .. وعلينا يا أخي ربيع أن نسير لبلادنا لرؤية أختنا الملكة بعد كل هذه السنين .



وبعد أيام جهزا مركبا للسفر لبلاد النعام ، وأخذا معهما الهدايا وأوصوا أولادهما على أملاكهما وحسن ، وسافرا إلى زيارة الملكة تاج اللوز التي ما كادت تسمع بمجيئهما وحياتهما حتى خرجت هي والملك سمعان لاستقبالهما والترحيب بهما ، ولقد كان لقاء عاطفيا مشهودا بالقبلات والزفرات والتنهدات ، وقد فرحوا بلم الشمل بعد تفرق وغياب وتشتت في بقاع الدنيا ما يقارب العشرين سنة ، وقصا عليها قصة حسن ابن أخيهم ومجيئه للجزيرة ، وفرحت الملكة بهذا الخبر وشجعته على تزويجه من ابنته ليعود للأسرة صفاؤها واجتماعها ، وأخبرتهم أن ملك العبيد غزا بلاد النعام ؛ وعاد ذليلا مهانا بعدما رأى نصف جيشه بين قتيل وجريح ، وعاد لبلاده خائبا خاسرا ، وقد علمنا أنه يسوم زوجته عبلاء سوء العذاب لما حل به من الخيبة والخسران ، ولقد أرسلنا لها رسولا من طرف ولدها صعب وأخيها سالم لتعود للبلاد، فأبت وأصرت على البقاء في بلاد السودان رغم الذل والعذاب الذي يصبيبها من زوجها ، ورفضت عفو الملك سمعان

وهي تعيش هناك بين عبيد وخدم ونساء ملك السودان وبعد حين ودع الأخوان أختهما ورجعا للجزيرة الخضراء على أمل العودة من جديد لبلاد النعام .

وكان الملك غالب قد أصبح شابا بعد هذه السنوات ، واستقر الوضع في بلاد النعام ، وملّ الملك سمعان من التنقل بين البلدين ، فودع ولده بعدما زوجه من فتاة من بنات الأسر الكبيرة في البلاد ، وأخذ زوجته الملكة تاج اللوز ، وعادا لبلاد الهناء بعد كل ذاك العناء ، فهدأت النفوس وعاد الهدوء والوئام لتلك البلاد ، وقد تزوج حسن من ابنة عمه مي ابنة الأمير زيدان بعدما عادوا للحياة في بلاد النعام ، ولما تزوج الأمير أسامة من ابنة القاضي تنازل الملك سمعان عن الملك لولده أسامه ، فأصبح ابني تاج اللوز ملكين متوجين، أحدهما في بلاد النعام والثاني في بلاد الهناء ، وهذا آخر ما جرى للأميرة تاج اللوز من الأخبار أيها السادة الكرام وسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته وإلى اللقاء في قصة أخرى من حكايات الناس يا ناس .

وهكذا تمت قصة الملكة تاج اللوز وولديها غالب وأسامة



قصص وحكايات الفوارس			
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

الاميرة تاج اللوز وولديها



